

أبو كبير

٢

قبيل العهد التركي وبعده

بقلم

علي سالم عمار

الطبعة الأولى

طبع هذا الكتاب على نفقة مضارب أرز علي عمار بأبي كبير وفاقوس

التليفون ٣٩ أبو كبير — ٩٢ فاقوس

ملتزم بيعه جمعية المحافظة على القرآن الكريم بأبي كبير وقيمة الثمن جميعه تبرعت به المضارب لمشروع انقاذ فلسطين وثمن النسخة ١٠ ص

دار النصر للطبع والنشر با



الاهـــداء

بلدي العـــزيز ومنبتي حق اليــك محبتي
هذا كتابي شاهد ان الوفاء طبيعتي

(علي سالم عمار)

كلمـات

بشأن ابي كبير وكتاب ابي كبير

— ١ —

كلمة حضرة الدكتور محمد مصطفى حلمى افندى مدرس الفلسفة الاسلامية والتصوف بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول بالقاهرة

حضرة الأخ العزيز والصديق الحميم على افندى سالم عمار

سلام عليك ، أما بعد . فقد تلقيت مع الغبطة والسرور كتابك الاخير ، ومعه رسالتك عن (ابى كبير) ولا أغلو اذا قلت أنى عند قراءتها الفيتنى بأزاء بحث تاريخى له قيمته من الناحية العلمية ، فضلا عما يتسم به من السمات الادبية . ولقد أعجبنى من رسالتك هذه ، ماعمدت اليه من تحرى الدقة والتزام المنهج العلمى برجوعك الى المصادر التاريخية القديمة والحديثة . فجاءت رسالتك صورة صادقة لما لك من اطلاع واسع ، وعكوف على البحث وميل الى الدرس والتمحيص ، وليس من شك فى ان صفات كهذه ان وجدت فى رجل مثلك من رجال الاعمال والمال . ولم يلهه ماهو فيه من بيع وتجارة عن تغذيتها وتنميتها ، كانت خليقة ان نكبرها فيه ، وأن نتخذ منها مرآة صادقة لما تظهره نفسه وما تطويه .

واذا كان لى ان ارجو شيئا ، فهو أن تدأب على ما اخذت به من بحث وان تحاول بعد أن أطلعتنا على هذه الحقائق التاريخية ، ان تظهرنا على لون آخر من الحقائق هو أدنى الى نفسك ، وأحب الى قلبك وحسك ، وهو (الحقائق الروحية) التى تتذوقها فيما انت بسبيله من معالجة التصوف وضروب الحياة الروحية . والى ان تظهر حقائقك الروحية هذه ارجو ان يوفقك الله ويؤيدك . والسلام عليك ؟

٢٠ يوليو سنة ١٩٤٧ — محمد مصطفى حلمى

— ٢ —

كلمة حضرة صاحب العزة الاستاذ عبدالعزيز بك عبدالله سالم وكيل وزارة الزراعة المساعد . فى ذلك الحين .

وزارة الزراعة

مكتب الوكيل

القاهرة في ٢٨ يوليه سنة ١٩٤٧

حضرة المحترم السيد سالم محمد

أهديكم أطيب التحية وبعد فقد تسلمت بسرور كثير بيانكم الخاص

بيانكم المنشور بجريدة "[illegible]" وقد قرأته بإمعان وإنه

ليسرني أن أشكركم على المجهود العظيم الذي بذلتموه في

الوصول إلى الحقائق القيمة المبينة في هذه الرسالة.

وإني إذ أكرر التهنئة أرجو لكم التوفيق في أعمالكم. كما

أتمنى لكم الصحة والهناء.

واقبلوا فائق تحياتي واحترامي

المخلص

[signature]

٢٧/ ٧/ ٤٧

كلمة فضيلة الاستاذ الشيخ حسن صقر المفتش بقسم الوعظ والارشاد بالازهر الشريف

حضرة السيد الجليل والاستاذ العلامة والاخ الفاضل على افندى سالم عمار

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فلقد كانت هديتكم كتاب (ابو كبير) درة ثمينة فى جبين التاريخ المصرى أولا ، وتاجا باهيا زاهيا لمكتبتى المتواضعة ثانيا ، ومادة فخار وشرف لى ؛ لانى أعد (أبا كبير) وطنا لى . فانه اذا كان الوطن هو الارض التى تظهر فيها صيحة الحياة ويدوى فيها صوت الخروج من عالم الظلمات الى عالم النور . وتعلن فيها مظاهر النماء وقوة الروح ، فان (أبا كبير) هذا البلد الذى ارتفع فيه صوتى أول ما ارتفع . ودوت فيه صيحة حياتى أول مادوت . وبرزت فيه قوة نمو روحى أول ما برزت ، بل هو الوطن الذى أعددت فيه زهرة عمرى . وكفى بهذا كله اعتبارا للوطنية .

اما الكتاب فغاية فى الدقة وسلامة التفكير وكفاية الاخلاص . والدليل القوى على الوفاء للوطن بحقه . وحب الوطن من الايمان . ولقد أديتم أيها الاخ لهذا البلد ما عليكم ووفيتموه حقه . فجزاكم الله عنه خير الجزاء . ودمتم محفوظين بعناية رب العالمين موفقين للخير والرشاد . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

حسن صقر

١٩ من رمضان سنة ١٣٦٦

٦ من اغسطس سنة ١٩٤٧

— ٤ —

كلمة حضرة الدكتور محمد كامل حسين افندى مدرس الادب العربى المصرى بكلية الآداب بجامعة فؤاد الاول بالقاهرة

حضرة الاخ المحترم على افندى سالم عمار

تحياتى اليك . وعظيم شكرى لك لتفضلك باهدائى بحثك القيم عن أبى كبير فقد اعجبت به الاعجاب كله لما فيه من بحث علمى وتحقيقات تاريخية وصفاة أدبية

وانى وان تأخرت عن الكتابة اليك فى حينها لمرض منعنى عن التعجيل بها ، فها أنا اليوم اسجل اعجابى وشكرى

وارجو ان تتقبل منى اطيب التمنيات واخلصها ؟

١٢ / ٩ / ١٩٤٨ محمد كامل حسين



كلمتى

بمناسبة عيد ميلاد جلالة الملك فاروق الاول حفظه الله بسراى مديرية الشرقية فى حفلة التشريفة بالحادى عشر من فبراير سنة ١٩٤٨ بحضرة صاحب العزة اسماعيل بك فخرى لتقديم واجب التهانى وفروض الولاء والاخلاص للجالس على عرش مصر بالنيابة عن مركز ابى كبير

بالبشر نلهج والدعاء جئنا ورائدنا الوفاء
ذكرى سعيدة كلها يمن وخـــير واهتداء
أضفت على الوادى سنا نور الامانى فاستضاء
ميلاد (فاروق) بدا أولى البشائر للجلاء

* * *

قد برهنت أحداثنا وتدفقت منا الدماء
فالخصم يسبك حيلة يرجو بها حق البقاء
زعم (المفاوض) أنه يعطى المخدر كالدواء
وكذا السياسة طبعها زيف وزيغ والتواء
كم صـــيغة معسولة طويت وحق لها الفناء
لم تثننا عن عزمنا فشيئة فيها مضاء
وسنستمر مجاهـــدين الى النهاية فى أباء

* * *

مصر المجيدة رمزها (فاروقها) وهو الضياء
عرش البلاد وتاجه كل النفوس له فداء

* * *

(وابو كبير) تمركزت   من بعد غبن وابتلاء
تشكو تأخر حالها   أين العدالة فى العطاء
فأمورها تركت سدى   بين التراخى والجفاء
ولكم غريم نالها   حقداً وظلما وافتراء
والحق أنا معشر   عما تقوله براء
شعب صبور ، كادح ،   وحياته فيض السماء

* * *

والآن (فخرى) جاءنا   وهو الذى فيه الرجاء
سيفنا لنا من سعيه   فضل سيقرن بالرضاء

* * *

طلباتنا ياسيدى   (نور ومستشفى وماء)
(والثانوية) نبتغى   أولادنا فيهم ذكاء
والعلم خير مشرف   للمرء ان عز الثراء
ودعامة للشعب اذ   يرقى وان شاء البناء

* * *

وتحية لمليكنا   فيها التهانى والولاء

١٢ / ٢ / ١٩٤٨   على سالم عمار



بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة

ما أن نشرت كتابي (أبو كبير) حتى شعرت بحالتين متناقضتين فى الشعور هما الفرح والاسف

أما الفرح فلأن أصدقائى وأحبائى من العلماء والكبراء تلقوا الكتاب بقبول حسن وما كنت اظن أنه سيفوز منهم بكل هذا الرضاء والقبول والتقدير . ذلك لان موضوعه لايعدو ان يكون تاريخ قرية من عامة القرى أو بلد من عامة البلاد وليس لمثلها كبير أهمية من الناحية العامة . بل أن أهميتها تستوجب العناية والتقدير من أهالى أبى كبير أنفسهم أكثر من غيرهم . أما هؤلاء السادة فقد نظروا الى الكتاب نظرة علمية فنية فضمنوها كلماتهم القيمة التى أعتز بها كل لاعتزاز والتى أشكرهم كل الشكر عليها وعلى عواطفهم النبيلة نحوى ؛ وبالرغم من انى أعترف أن الكتاب لم يستوف أوجه الكمال فى التصحيح وفى الطباعة ؛ وأعتقد أن كل من تسامح فيما وقع من الهناة أو الاخطاء الشكلية فانما يتسامح لعلمه بضيق وقتى وعدم اتساعه لتصحيح التصحيف والتحريف فاعمالى التجارية والاقتصادية التى هى مهنتى فى الحياة العملية لاتدع لى من الوقت ما يكفى لمثل ذلك النوع الدقيق ، وما هيأت نفسى للانقطاع والتخصص فى التأليف ولكنها مسألة عارضة رأيت أنها واجب حق على أداؤه .

أما الاسف ، فلأن بعض المواطنين الذين كان يلزمهم أن يقدموا لى معونتهم الادبية ولا أقول المعونة المادية، فهذه الناحية الاخيرة يسيرة وهنية بالنسبة لى اذا ما تطوعت للكشف عن تاريخ بلدى واعلاء بعض شأنها واظهار مطالبها ، هؤلاء المواطنون تركوا الجوهر واللباب وأمسكوا بالقشور والتعلق بالسحاب . فقد تأولوا للكتاب مزاعم وأغراضا أنزه قلمى عن الخوض فيها والتحدث عنها ؛ فقالوا أن له ناحية حزبية وهو دعاية سياسية أوحى بها مشرب معين وهوى فى النفس خدمة لفريق من الناس دون

الفريق الآخر . وأجزم انه تأويل خاطىء ، وما كنت أقصد عند وضعى للكتاب هذا ولا ذاك ، وانما يتوسل المتقولون بهذه الزريعة لما جبلوا عليه من توسيع هوة الخلاف بين الناس ومن تثبيط الهمم عن الاخذ باسباب النجاح من الاتحاد والتعاون على الخير والاصلاح .

اعتكفت فى غرفتى يوما كاسف البال تعاودنى لوعة هذا الاسف ويسهدنى ذلك التبلبل التى يكتنف القوم فلا يشفقون على بلدهم وما آلت اليه حالها من التأخر وعدم الانسجام والاتفاق بين أهلها ، وقد كانت أولى بالتقدم من زمن بعيد ولولم تكن هذه الحالة العارضة .

قالت (أمينة) مالبالك كاسفاً ... وعلام انت مسهد وسقيم
قلت الغياهب (يا ابنتى) لاتختفى ... فالى متى حجب الظلام تقيم
ومتى يشع النور بعد وينجلى ... هذا الظلام فتستبين نجوم

* * *

فلك الزمان يسير نظما واحداً ... شبراً بشبر فالزمان نظيم
وكذا النفوس هى النفوس كما خلت ... حمم الافاعى شرهن سموم
والمرء حتى اليوم ماخوذ بما ... لطبيعة الانسان وهو ظلوم
أ أذا طلبنا للطهارة موضعا ... فالنجم والقنعاء حين نروم ؟!

* * *

ها قد أذعت رسالة ومقالة ... ورجوت منها الخير حيث يدوم
فيها كشفت قبيلنا وأصولنا ... وكأن كل مغيب معلوم
حفز الفؤاد الى الأبانة لوعة ... والحب عندى ثابت وقديم

* * *

زعم الرفاق لدى سوء طوية ... ياسوء زعم والمحب هضيم
فكربت من تبديلهم لمقاصدى ... والطبع يغلب والمغبة شوم

* * *

قالت ، رويدك تلك سنة فى خلا   والصبر طبعك كيف بعد تلوم ؟
اما الزمان فقد وصفت نظامه   أما النفوس فظلمها مرسوم
سر فى طريقك صامداً لاتنثنى   وانشر كتابك فالكريم رحيم

* * *

قلت السماح (بنيتى) ان الوفا   فرض على أداؤه محتوم

* * *

قالت تذكرنى بماضى بيتنا   قصد الفخار وفخرها تعظيم
قلت العفاء ، رجعت بعد القهقرى   لافخر بالانساب . قال حكيم
نهج قديم لايلائم عصرنا   هو جاهلى فارغ وعقيم
أما الفخار فذاك رأى وحجى   وأفادة وكرامة وعلوم

* * *

(زيد بن حارثة) الصحابى جدنا   وأمير مؤتة جندلته الروم
مولى رسول الله ثم حبيبه   أنعم بخادم . حبذا المخدوم
احد الثلاثة بل وأول من ثوى   مستشهدا ولواؤه مرقوم
وتلاه (جعفر) فاستقى كاس الردى   وتلاه (عبدالله) وهو عليم
واستشهد الامراء بعد وفتحت   خضر الجنان فقيلهم تسليم
وانحاز سيف الله (خالد) صامداً   وهو الامير المنقذ المزعوم
عاد الامير بجيشه من غير ما   ضر ولكن مرهق وسليم

* * *

أما (الرسول) فقد تدرع صابرا   وتكنفته لواعج وهموم
آلى ليثأر ثم جهز غزوة   فالدين والاسلام ثم كليم
هذا (اسامة) هم صوب قضاعة   والنصر جاء ونفذ المرسوم

* * *

وكذا (فلسطين) الشهيدة مذ بدا الا   سلام روتها الدما والدم
والآن يتقدم الأتون فالفا   لا نفتدى أهلا لنا ونروم
(فابوكبير) جنوب (يافا) تصطلي   نار اليهود وحالنا معلوم
ذهبت بها مهج الرجال كريمة   فالدور عاد وأعوز التقديم
لاشك ان العرب أكرم شيمة   والسيف اصدق ان خلا التحكيم

* * *

فالبيت بيت مآثر وشعاره   بيع النفوس وحتفها تكريم
ذكراه مفخرة لكل مجاهد   أمل يناشده الفتى الموسوم
لكنها ليست مشرفة فتى   يختال بالانساب وهو نؤوم
فاذا رفعت عقيرتى فبساعدى   أما سواعد من مضوا فرميم
قسما (أمينة) كل مفخرة سدى   الا الخير يرتجى ويقوم

ان الحوادث التى ذكرتها، والمناسبات التى قدمتها بالكتاب لاتزال عالقة بالاذهان يرن صداها فى الآذان ويذكرها الاحياء من شهود العيان. اما ما استخلصته من طريق البحث العلمى فهو لاشك قائم الدعائم ثابت الاركان الى ان يظهر مايضحده من حجة قويمة أو من برهان على انى لم أقل انه تنزيل من حكيم حميد. بل قلت انه اولى المحاولات فى الكشف عن تاريخنا وأصول قبيلتنا ومآثر لاعلام من أعلامنا. ودعوت المثقفين من ابنائنا أن يلجوا الباب وأن ينقبوا فى الخزائن عن اللباب. عسى أن نوفق الى الاصح والى الصواب، ثم وعدت أن أتكلم مرة أخرى عن الاعلام. وقصدت من ذلك أن أصحح ما عسى ان أكون قد أخطأت فيه وأن أثبت ما عسى أن أكون قد سهوت عنه ومع كل هذا لم أجد الا نقاشا مملا وجدلا مخلا. فتمثلت قول الله تعالى لنبيه الكريم ﷺ حاكيا عن القرآن المجيد (قل لا اسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى)

وأخيرا قرأت ما أعجبت به. مقدمة للسير توماس ارنولد قدم بها كتاب الدعوة الاسلامية الذى الفه سنة ١٨٩٦ فقال:

حاولت أن أكون غير متحيز البته. وأن أؤيد المثل الأعلا الذى بسطه المؤرخ المسيحى الذى أرخ انتصارات العثمانيين وسقوط القسطنطينية بقوله: لابد للمؤرخ

أن يسجل التاريخ لا حباً فى ان يعترف له بالجميل ولا مدفوعا بباعث الحقد والضغينة أو الكراهية وارضاء المشاعر بل لاجل التاريخ وحده . ولكيلا تنطوى من عالم النسيان صفحات التاريخ التى يعرف الزمن كيف ينشرها .

ولقد خففت عنى يا (أمينة) ما ألم بى وما عرانى من الوجوم والالم فسامح الله قومى وغفر لهم

أحن الى قومى وأحنو كمدنف ... واعطف اشفاقا ورحمى لمتلف
أبث شعورى ثم أزجى صبابتى ... وأوثرهم عمن سواهم واصطفى
وكل له عندى مكان ومنزل ... أزوده ودى وحبى واحتفى
وما صح عندى ان أفرق بينهم ... وكيف وجمع الشمل يكفى ويكتفى

☆ ☆ ☆

وان كان بعض الناس قد شن غارة ... من الخلف فى شكل مريب تعسفى
فانى الى جارى وان جار راغب ... لنبقى كراما بين أقران تقتفى

☆ ☆ ☆

حرام علينا ان بقينا على الجفا ... على غير ود بين لاح ومرجف
اذا ما بعدنا واستجبنا الى الهوى ... ستجرفنا الاهواء فى سوء متصف
نقاش يزيد البغض فى غير مغنم ... وفعل يثير الشر دون التلطف
فتأويل الفاظ وتبديل قالة ... وتحريف اوضاع لدى كل موقف
فسعدى ودستورى ووفدى وغيرهم ... أمور الفناها مثار التأسف
بها قد خسرنا بل هدمنا معاقلا ... بناها رجال فى عصور خوالف
وهدم بلا تجديد أفعال مبلس ... وأفلاس مشؤوم واتلاف متلف
ولو صارت الانقاض تترى كما ترى ... فأوى لغربان ومسرى زواحف

☆ ☆ ☆

فهلا تطلبنا حياة هنيئة ... حياة وفاق واتفاق مشرف
وهلا تواصينا على الخير والهدى ... فيزدهر العمران والخلف ينتفى

اذن لوجدنا كل صعب ممهداً لنيل الأماني وارتياد المشارف
فوالله ان الحب والنبل والصفا كفيل باسعاد ونور لعارف

أبو كبير فى العهد التركى

تكلمت فى الجزء الأول من كتابى (أبو كبير) عن نشأة ابى كبير وتاريخها القديم طبقا لما وصلت اليه من البحث ، وتكلمت عن حالها على عهد الاسرة العلوية الكريمة وعن مقدار ما نالها من وجوه الاصلاح فى أرضها وفى ملكيتها وفى الرى والزراعة والمواصلات فى الصفحات ١٢ و ١٣ وطالبت بما هى مفتقرة اليه من المرافق الاجتماعية من جهة الصحة ومن جهة التعليم ثم تخطيت العهد التركى الى عهد المماليك الجراكسة متناسيا ذلك العهد لما فيه من فوضى ومن آلام . ولكن ذلك العهد هو الذى تلقت منه الاسرة العلوية زمام الحكم بمصر عقب الحملة الفرنسية فهو وثيق الصلة بتاريخ ابى كبير الحديث . ولا نزال نلاحظ اسماء ومسميات ذلك العهد ظاهرة الأثر قريبة المتناول من الاسماع والأذهان . كما أن كثير من الأسر والعائلات الحالية إما أن تكون قد بدأت عهدها فى خلال ذلك العهد أو بعهده مباشرة اذا ما استثنينا (العمارنة) (وأولادفضل) (وأولادسليمان) فانها تكونت قبل العهد التركى فاصبحت كفوراً تضم كثيرا من العشائر قرابة نهاية القرن السابع الهجرى عهد دولة بنى قلاوون كما سيأتى بعد وقبل ان تندمج أبو كبير وبنو عصين فتصير بلدا واحدا كما قدمناه

ملخص عن العهد التركى بمصر

فيما كان بين العرب والترك

أثبت أن أبا كبير نشأت عربية سواء كانت قبل اندماج بنى عصين معها أو فيما بعد ذلك . فلا بد أن تنزع منازع العرب وأن تتأثر ما تأثر به العرب وان ينالها من الاحداث ومن الحالات النفسية ما نال العرب . ولقد وجد الفتور والنفور والتنافس بين الترك والعرب . ولست بمعرض الكلام عن ذلك الأمر فلقد نشأ منذ عهد مبكر ، وعقب

ما كان قد جد بين الفرس والعرب وعقب فتنة البرامكة أبان خلافة العباسيين . ولست بمنتقص فى ذلك من قدر الفرس ، أو من قدر الترك ولا من مقدار ما أفاد كل من الجنسين وما قدم للشرق من حضارة ومدنية ولكن الحقيقة لاتخفى ، فان العهد التركى بمصر كان عهدا مضطربا تاخرت فيه مصر وتاخرت فيه العرب ولا نزال الى الآن نرزح تحت أثقال ذلك الميراث ، وكابوس ذلك العهد الذى كان شؤما على العرب

فاذا ابتعدنا الى ماقبل عهد محمد على الكبير واذا ابتعدنا الى ماقبل الحملة الفرنسية وجدنا نهاية العهد التركى . عهد المماليك والبكوات . عهد الفتن والقلاقل والثورات وعدم الاستقرار والطمأنينة ، اذا استثنينا بعض الفترات القليلة النادرة . ذلك العهد عهد تنازع النفوذ والتفرد بالسلطان بين الترك والعرب من جهة ، ثم بين البكوات انفسهم فقد كان كل من تسول اليه نفسه ان يتفرد بالنفوذ والسلطان عليه ان يسعى بمختلف الوسائل وان يتلمس أتفه الاسباب ليثور وليخل بالامن والسكينة فيحدث الاضطرابات ويثير الزعر فى قلوب الآمنين الوادعين من الاهالى غير حاسب أى حساب لما تجره هذه الحالات من الويلات والاضرار بصالح الرعايا وبصالح البلد . يرى البكوات فيما بينهم وبين انفسهم أن احدهم قد كسب نفوذه بقوته . فلا يزال يستكثر من المماليك (والانكرجية) حتى اذا أنس فى نفسه القوة ثار على اقرانه ليتفرد بالسلطان . ويرى العرب فيما بينهم وبين أنفسهم ان هؤلاء البكوات والمماليك رقيق اشتروا بالمال فاغتصبوا منهم السلطان الذى كانوا هم أهله ودعامته فاذا أحسوا بالظلم والتحكم علاوة على مافى دخيلة أنفسهم ، ثاروا كذلك عساهم ان يحصلوا على ما كان لهم من سلطان . ويرى البكوات والمماليك فى مجموعهم بالنسبة للعرب أن العرب دائما عقبة فى سبيل ذلك السلطان فيطغون على حقوقهم ويضغطون على شئونهم الاجتماعية وعلى مرافقهم الحيوية ومصالحهم المعيشية حتى لايمكنوهم من الحصول على القوة والثورة عليهم . فلا يعنون بصوالحهم ولا بشئونهم المادية والمعنوية خشية ان يؤدى ذلك الى استلابهم السلطان منهم ، وكانوا يعرفون منهم ذلك كله . فكثير ما حملوا عليهم الحملات الشديدة وشتتوا من شملهم ولم يمكنوهم بمختلف الوسائل من التجمع والتكتل بدعوى المحافظة

على الامن والطمانينة والسكينة . لذلك كان العرب فى مصر فى ذلك العهد ليس لهم استقرار وكانوا كثيروا التنقل من أقليم الى أقليم ومن بلد الى بلد

وخلاصة القول

كانت حقوق العرب مهضومة والمساواة بينهم وبين الترك مفقودة وكان المتمتع بالخيرات والارزاق والمناصب هم البكوات والمماليك . فالثورات لا تنقطع . وهذه الثورات تلقى الرعب فى قلوب الاهالى الوادعين وتحدث الذعر بين الفلاحين الذين لا عمل لهم الا حراثة الارض وزراعتها وتسليم حاصلاتها للحاكمين وأصحاب النفوذ المسيطرين ولا ينال الاهالى منها الا القليل الذى لا يتناسب حتى مع أجر هذا العمل الشاق الجسيم

ويصور لنا هذه الحالة الشعراء العرب فيقول الشيخ حسن حجازى كما يروى الجبرتى وابن لياس وجورجى زيدان فى وصف الاحياء العربية وعدم العناية بها

حارات أولاد العرب سبعا حوت كل الكرب
بولا وغائطا كذا ترب غبار سوء أدب
وضجة وأهلها شبه عفاريت الترب

ويصور الشيخ محمد الدفرى الحالة الاخلاقية (وقيل ان هذه الأبيات للزمخشرى)

زمان كل حب فيه حب وطعم الخل خل لو يذاق
له سوق بضاعته نفاق فنافق فالنفاق له نفاق

ويقول الشيخ عبدالله سلامه الادكاوى متبرما بما يجد فى مصاحبة الحكام

وعصبة سوء تجافيتهم ونزهت نفسى عن دائهم
لحانى قوم على تركهم وقالوا ألست باكفائهم
فقلت لهم عذرنا واضح على ترك ساحة أحيائهم
فنحن نعيش باقلامنا وهم عائشون باقفائهم

ومن أمثلة الثورات التى كان يقوم بها العرب ثورة الشيخ عبدالله وافى المغربى بالوجه القبلى . فى عهد السلطان مصطفى خان الثانى ثار العرب جميعا من مشارقه ومغاربه

وكان زعيم هذه الثورة عبدالله المغربى سنة ١١٠١ هـ فاصدر السلطان مرسوما الى حسين باشا والى مصر يأمره بتاديبهم ولاشك ان الاسباب التى تذرع بها كانت الاخلال بالامن وكانت أعمال السلب والنهب . فسير حسين باشا حملة تحت قيادة أيواظ بك ولكنها لقيت مقاومة شديدة فطلب ايواظ بك من الوالى النجدة ، فاردف له الباشا حملة اخرى قوامها خمسة من المماليك البكوات بانكشجريتهم فقضوا على هذه الثورة وقتلوا المغربى سنة ١١٠٥ هـ وفر اتباعه الى الشمال فقابلهم ايضـــا عبدالله بك بالجيزة وشتت شملهم ، وفر منهم كثيرون للوجه البحرى وكان ممن انضم الى ثورة المغربى الشيخ همام ابن يوسف شيخ الهوارة بالوجه القبلى ،والشيخ سويلم بن حبيب الهنادى بالوجه البحرى ، والشيخ على ابو شاهين شيخ قبيلة النجمة ، ولما نجا الشيخ على ابو شاهين من القتل مع استمراره فى التمسك بموقفه كبر اسمه بين طوائف العربان وحمدوا له موقفه وعلا نجمه فيهم واكثروا من تسمية اطفالهم على غرار اسمه ، ولو أن العرب فى هذه الثورة لحق بهم الهزيمة الا أنهم لم يسكتوا على ما أصابهم بل تحينوا الفرصة للثأر فى كرة أخرى

ففى ولاية خليل باشا سنة ١١٢٣ هـ وكان عهد شرور وفتن واضطراب لم يعهد له مثيل ، ارسل الباشا تجريدة الى الشرقية قوامها يوسف بك ومصطفى بك أغا الجرا كسة لمطاردة محمد بك الصعيدى . فتلقاهم من مشايخ العرب شيخ الترابين وصرفهم عنها ولكن لم تطل المدة حتى اشتبك البكوات مع العرب مرة أخرى وكان النصر فى هذه المرة للعرب وفى ذلك يقول الشيخ حسن حجازى الشاعر فى قصيدة له منها :

بلية عظيمة مصراً أنت	ما وجدت قط ولا توجد
أيوب والافرنج والباشا كذا	محمد الصعيدى بك الانكد
قد فعلوا مناكرا شنيعة	بأهلها تفت منها الأكبد
ضرب مدافع ودور خربت	وسادة قد قتلت وأعبد
وفى الرعايا القتل والنهب فشا	والجوع والظمأ مالا يعهد
والعلما أهل الضلال والردى	لهم أبا حواكل مالا يحمد
وانتصرت أذاك أجناد العرب	على أنكشجريتهم وسودوا
تلك الرزايا والبلايا أرخت	خليل باشا فى هباب يلهد

(حالة أبي كبير)

أما حالة أبي كبير فلم تكن بأقل مما كانت عليه حالة القطر ، بل كانت أسوأ ؛ لا لأن هناك من النزاع شيء مما هو بين الترك والعرب ، بل لأن الفتنة تلتهم بنيرانها عشائرها. فلقد عملت نعرة العصبية عملها فى نفوس ابنائها وتحمس كل قبيل لقبيله ، فاضطربت الحال واختل نظام الأمن وسادت الفوضى .

هؤلاء (أولاد فضل) وهم بطن من طى ومساكنهم الأصلية باقليم حمص بالشام أقام قوم منهم بأبى كبير ؛ وهؤلاء (اولاد سليمان . أو بنو سليمان) واولاد سليمان بطن فى سليم ومساكنهم الأصليه بالمغرب ، وبنو سليمان بطن من بهثه من سليم ومساكنهم الأصلية بين قابس وطرابلس بالمغرب أيضا ، كذلك يقول صاحب سبائك الذهب .

اختلف الشوام مع المغاربة وقامت بينهم العداوة والبغضاء وركب كل رأسه يحدوه الوهم ويدفعه للانتقام من مواطنه ، وربما كان على مصاهرة أو نسب معه . وليست هناك من أسباب غير هوى النفس ونزوة الشر ، أما (العمارنة) وهم بنو عمران بطن من بنى سالم من جذام لخم ، وهم اصحاب الزعامة والرئاسة فى ذلك الحين ، فحائرون بين هؤلاء وبين أولئك يريدون الاحتفاظ بعلاقتهم مع طرفى الخصوم ، ولا يستطيعون حسم النزاع واعادة الامن والسكينة الا بالقسوة ، والقسوة والعنف لا يكونان الا عند اليأس ، ولا يزالون يتلمسون الحلول الودية لاصلاح ذات البين بين الأخوين لما لهم عليهما من حق الجوار والقربى . ان التقاليد المألوفة عند طوايف العربان فيما يجد بينهم من خلاف هى طريق التحكيم القبلى . ينتدب كل فريق مندوبا ينوب عنه فى الأقضية ويرأس المجلس مرجحا . ومن شرائط المرجح أن يكون ذو منزلة من قومه وله مقام ملحوظ عند المتخاصمين . فمن يكون هذا الرئيس ومن أين يأتى ؟

هذه (بنو عصير) (أو جزيرة فاضل) هى الجار الجنب والصاحب بالجنب يفد اليها كثير من طوايف العربان والبدو خصوصا من جهات سينا وفلسطين والشام كما قدمت فى الجزء الأول فهى أيسر من يقدم رئيس مجلس التحكيم . فاتفق أن وفد اليهما

فى خلال استقرار الرأى على التحكيم شيخ وقور مهاب فى قومه وعشيرته ، وهو من قبيلة (النجمة من الترابين) والترابين كما قلت من عقبة من جذام . يشتركون مع (العمارنة) فى صلة القبيلة الأصلية (جذام) . عرض اسمه فى المجتمع فرضى العمارنة عن انتدابه للرئاسة وسعوا لرضاء المحكمين أيضـــا لما له من صلة القبيلة أولا ولـكونه بعيد عن التحيز لأحد الفريقين لأنه جديد المقدم من الشرق العربى . ذلك هو شيخ العرب (شاهين) الذى اشتهر فيما بعد (بالصادى) واشتهرت عشيرته والكفر الذى أقام فيه (بالصداه)

فصل مجلس التحكيم فى الأمر وقضى فيما قضى أن يقيم (شاهين) بين ظهرانيهم للحيلولة دون اعتداء أى فريق على الآخر . وأخيرا استقر بعشيرته شاهين بأبى كبير فى الكفر المعروف الآن (بكفر الصداه) وأصبح الرئيس المطاع حوالى سنة ١٧٦٠ م وسنة ١١٥٠ هـ . فمن الصادى ؟ . ومن العمارنة ؟ هكذا يريد قومنا أن يعرفوا

الصـــادى

الصادى فى اللغة هو العطشان . ولا أعرف تخريجا لغويا غير مايشير الى هذا المعنى . فهو لفظ مفرد . وجمعه (صادون) (وصوادى) (وصداه) والجمع الأخير هو ما اشتهرت به العشيرة المشهورة ثم الكفر المعروفان بأبى كبير

يقول الشاعر فى المفرد يصف كريما :

أعطى جميع السائلين فما أكتفى حتى يروى كل واد (صادى)

وقال فى الجمع الأول يصف الكريم أيضا

سحت مكارمه بساحة جوده فروت سحائب فضله (الصادينا)

وقال فى الجمع الثانى يصف الشجاعة

عاد الفوارس بعد معركة الردى هيما لشرب دما العداة (صوادى)

وقال فى الجمع الثالث فى الشجاعة أيضا

كروا فتلك دما الأعادى أنهر وتجرعوا لا يرتوون (صداه)

ولقد ذهب كبير مثقف من الأسرة ان (لفظ الصادى) جاء معهم من (صيدا) الميناء اللبنانى المعروف، والذى أسسه بنوا صيداء أحد أقيال القبائل العربية . فرجعت الى استطلاع هذا الخبر فى كتب أنساب العرب فوجدت فى سبائك الذهب للبغدادى ما نصه

(١) صيداء بن مالك بن حنظلة من ربيعة

(٢) صداء بن يزيد من كهلان

(٣) الصداء بن عمرو

وقال عن صيداء ، ونسبته (صيدائى) وسمى بنوه بنو الصيداء وقال تدليلا على ذلك : مر شاعر بارضهم فافتقد فرسه ، أخذها بنوا الصيداء ، وكان سفره طويلا فرجاهم أن يردوها له بقصيدة منها :

يا بنى الصيداء ردوا فرسى   كان أولى ان تكونوا حرسى

ونسبة أخرى (لبنى صيدا) صيداوى . ولقد ذكر الجبرتى فى تاريخه أحد بكوات العهد التركى من سماه مصطفى بك (الصيداوى) ومن النسب المحرفه لمن لا يجيد العربية (صيدناوى)

وذكر البغدادى عن صداء ان نسبته صدائى وان بنيه هم بنوا صداء لأنهم صدوا بنى يزيد بن حرب عن ديارهم وكان منهم يزيد بن حارثة الذى اسلم بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فارسله الى قومه فاسلموا بغير قتال فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انك لمطاع فى قومك

لذلك كله أقرر ان (شاهين الصادى) لم يأت بهذه النسبة من خارج ابى كبير . فلا يعرف بطن من بطون القبائل العربية التى استوطنت الشرقية بالصادى قبله . فان القبائل التى استوطنت الشرقية تم أجراء حصرها عقب الثورة العرابية فى عهد الخديوى توفيق باشا وظهرت نتيجة احصائها الرسمية فى ٢ مايو سنة ١٨٨٣ م ١٣٠٠ هـ لمناسبة امتيازات العربان وهذه القبائل هى :

العبايدة . العبس . العقايلة . الأخارسه . أولاد على . اولاد موسى . اولاد سليمان البياضين . بلى . بنى عدى . الضعفا . الفرجان . الفوايد . جهينة . الهنادى . هتيم . قيس المساعيد . النجمة . النفعيات ، السعديين . سمالوس ، الصوالح ، الطميلات . أجل هؤلاء العربان هم الذين تمسكوا بعروبتهم فحصلوا من الحكومة على امتيازاتهم المعروفة .

وقد يكون هنـــاك فريق اندمج فى الأسرة المصرية فلم يتمسك بتقاليد العربان ولا بامتيازاتهم حتى ولا بلباسهم التقليدى كما أن هذا الفريق لم يحتفظ بسلسلة نسبه على عادة العربان وآثر أن يكون مصريا بحتا فى تقاليده ولباسه وعاداته

والذى اعتقده بعد هذا البحث ان (شاهيننا) سمى على غرار اسم الشيخ على أبو شاهين شيخ قبيلة النجمة الذى ورد ذكره فى ثورة عبدالله المغربى لأن أفراد القبيلة وغيرهم من الذين حمدوا له موقفه السابق سموا أبناءهم باسمه . وأحسب أن هناك بعض الصلات بين عربان بلدة (الصوة) وبين شاهيننا وعشيرته حيث لاتزال بالصوة أسرة (الشواهنه) وأسرة (أيوب) كما لايزال عندنا من يسمى (شاهين وأيوب) وقد حدث التمييز بين هذا (الشاهين) وذاك فسمى شاهين أبى كبير بالصادى نسبة الى وصف الاقطاع الذى اشتهر به . فان اقطاع ابى كبير كان فى ذلك الوقت صادى أى عطشان لبعده عن ترع النيل الرئيسية التى كانت موجودة الى ماقبل سنة ١٨٢٠ حتى شق محمد على الكبير (الترعة الكبيرة) أو (ترعة الصادى) التى كانت أول ترعة شقت بارض أبى كبير لريها .

فاما (بحر أبو الاخضر فاقوس) فيبعد عنها بمقدار ستة كيلو مترات من الجنوب الغربى وأما (بحر مويس) فيبعد عنها كذلك ستة كيلو مترات من الشمال الشرقى . ويقدر مساحة الاقطاع ماينوف على ماية واربعين كيلومتر مربع أى مايزيد على سبعة آلاف وستماية فدان ، منها حوالى ثلاثة آلاف فدان كثبان من الرمال البيضاء القاحلة تلتف حولها فى شكل يزيد على نصف دائرة فى جهة الغربى ثم القبلى ثم الشرقى والقطر هو (جنابية) إبى كبير الآن فجزيرة ابى يسن ثم عزبة رأفت فارض شنن . فالبنان فكفر الشرفا فجزيرة فاضل فعزبة الاباظية ، وذلك بخلاف جزيرة السلطان حسن التى هى نقطة بيضاء فى أرض سوداء قبالة قطر الدائرة ولم يكن بها من وسائل الرى غير (١) ماتجود به السماء من الأمطار (٢) مايتسرب اليها من الماء وقت الفيضان من الترعتين المذكورتين وهاتان الحالتان لاتأتى بالرى الكافى (٣) الآبار (السواقى) التى ينشؤها الفلاحون وهيهات أن تكفى القليل من المساحة ، ومن هنا أطلق على الاقطاع

بأنه الاقطاع (الصادى) ولا بد أن يكون كذلك وأما كيف اشتهر (شاهين) بوصف الاقليم ؛ فقد قلت أنه أصبح الرئيس المطاع وتدرجت به الحال الى أن أصبح ملتزم الاقليم ولا يخفى ما كان للملتزم من اعتبارات فقد كان يعد الحاكم والمالك الأرض التى التزم دفع ضريبة معينة عليها فى نظير أطلاق يده فى التحصيل من الاهالى الحائزين والزارعين لذلك لصقت صفة الاقطاع فهو ملتزم الاقطاع الصادى ، وهو (شاهين الصادى) وليس ثمة نقص فى شخص يشتهر بصفة بلده ، ولا ثمة نقص فى بلد سميت باسم كبير فيها ، وكذلك لايضير العربى ان يكون مصريا أو حجازيا أو شاميا أومغربيا أو يمنيا أوعراقيا ولا ان يكون من هذه القبيلة أومن تلك مادام يعتز بعروبته وبكرامته ، وعلى رأى شاعرنا شوقى رحمه الله

{ ان العروبة أضحت بيننا نسب }

العمارنة

أما العمارنة فقد قدمت انهم بنوعمران بطن من بنى سالم من جذام لخم ومساكنهم بالبر الشرقى فى صعيد مصر ، اما جذام ولخم فمن القبائل العربية التى قدمت مصر مع عمرو بن العاص أبان الفتح الاسلامى

وانا اذا استعرضنا خارطة الوجه القبلى أى صعيد مصر وجدنا جنوبى بلدة بنى حسن التى هى من أعمال مركز ملوى بمديرية أسيوط مدينه امنحتب الثالث (اخناتون) المدينة الاثرية المصرية القديمة ووجدنا على اطلالها (تل العمارنة) وهى بالبر الشرقى للنيل ، وكذلك وجدنا مدينة الكرنك القديمة الاثرية التى بها المعبد المصرى المشهور باسمها بالبر الشرقى للنيل أيضا جنوبى مدينة الاقصر بمديرية

ثم اذا قارنا بين وجوه الشبه الصريحة فى أبى كبير وفى ذينك الجهتين كانت واحدة . فعندنا العمارنة مثل التى بالصعيد وعندنا الكرنك أيضا اسم شائع بابى كبير وهو مكان (الجبانة الكبرى) وعندنا اسم سالم وعندنا اسم عمران مثلهم ، فهذا سالم يوسف الجد الاكبر لسالم أبو السيد ولسالم أبو عمار ولسالم ابو خليفة من جهة أمهاتهم ، وهو جد على محمد

ابن سالم يوسف كبير العمارنة حتى لقد سمى سالم الصادى على غرار سالم يوسف وعندنا عمران على وعمران السيد وغيرهم من العمارنة ومن السوالم كما عندهم

كل هذه المناسبات تؤيد القول بان (عمارنة) أبى كبير قدموا اليها من الوجه القبلى من بنى سالم الذين ذكرهم البغدادى فى سبائك الذهب أنهم بالبر الشرقى فى صعيد مصر ولعل قوم من سكان الكرنك بالوجه القبلى كانت اقامتهم فى بقعة (جبانة ابى كبير) من قبل فاشتهرت باسمهم ولعلهم من بنى سالم أيضا

أما متى قدم القوم فاستوطنوا (أبا كبير) بعد انقراض سلالة الهذيليين من مغاربه أو من مشاقة وهم الذين كانوا نواة السكان كما قدمت عند بحث كلمة أبى كبير فلنا أن نرجع الى (كتاب السلوك للمقريزى) حيث كانت دولة بنى قلاوون عصر فى أواخر القرن السابع الهجرى وفى القرن الرابع عشر الميلادى ، قيل أن قلاوون لما اعتلى عرش السلطنة المصرية سنة ٦٧٨ هـ وتسمى بالملك المنصور قلاوون ، لم يكد يستقر له الامر حتى خرج عليه شمس الدين سنقر نائب السلطنة بالشام وامتنع عن مبايعته ؛ ولم يعترف بتوليته السلطنة المصرية وبخلع العادل سلامش بيبرس ، ولما علم الملك المنصور بذلك أنفذ جيشا لمحاربته واخضاعه سنة ٦٧٩ هـ فالتقى الفريقان بغزة واضطر اتباع سنقر الى العودة منهزمين الى الرملة . ولكن الهزيمة لم تفت من عضد سنقر فاستمال اليه أمراء الشام وجاءته النجدات من حلب ومن حماه ، وعاونه أمراء العربان وعلى الرغم من ذلك كله انتصر الملك المنصور قلاوون عليهم كما أحبط جميع المؤامرات التى دبرها خصوم الافرنج ، ولما تم له النصر وتخلص من الفتن رحل لاول مرة لدمشق سنة ٦٨٠ هـ ثم قيل أنه لما عزم على السفر أراد أن يطمئن على حالة الامن بالمملكة المصرية وأن يتقى شر ثورات العربان فجعل من العرب الموالين له عيونا وحراسا على الآخرين فاستقدم فريقا من (العمارنة) وأقامهم فى أبى كبير وهى موقع وسط بين مدخل الشرقية والدقهلية من جهة جنوب شرقى الدقهلية وشمال غربى الشرقية ؛ هذا وجه والوجه الآخر لما اعتلى الملك الناصر محمد عرش السلطنة المصرية سنة ٧٠٧ هـ كانت هناك فتن يثيرها المماليك ضد الناصر لضعفه فاستغل العربان موقف المماليك من الناصر وعاثوا فى الوجه

القبلي فسادا في ذلك الوقت ، وأخذوا يقطعون الطرق على التجار ويضربون عليهم الاتاوات والضرايب الفادحة من المال والغلال ، ولما تفاقم خطرهم استخفوا بالولاة والحكام وامتنعوا عن دفع الضرايب للحكومة والخراج وسموا انفسهم باسماء الامراء فاستدعى الامراء القضاة والفقهاء واستفتوهم في قتال هؤلاء العربان فافتوا بجواز قتالهم

فسار كل من سلار وبيبرس على رأس جيشه الى شرقي النيل والى غربيه ؛ وسار بكتاش الى الفيوم ؛ وخرج الدويدار الى السويس والطور ، وقطع حاكم قوص بمساعدة الاعراب الموالين طرق الصحراء ، وبذلك نجح الامراء في محاصرة المتمردين وأبادوا كثيرون منهم وتشتت الباقون في بلاد القطر ، وقيل ان (بعض العمارنة) قدموا من الوجه القبلي وأقاموا بابى كبير ، وهذا وجه آخر ، الا انى أرجح الوجه الاول لان ماورد في كتاب التحفة السنية السابق ذكره لابن الجيعان عند ذكره لابي كبير من (ان مساحته ١٨٦١ فدان وعبرته ٤٥٠٠ دينار للعربان) سنة ٧١٥ هـ أي منذ عهد الناصر لايدل على أن العربان الذين كانوا بابى كبير من الثوار فلا يعقل أن السلطان يرتب مخصصات للمتمردين ضد حكومته

العمارنة أقدم مسكن بابى كبير

كان من الظواهر الطبيعية لبلدة ابى كبير ان كل كفر من كفورها يقوم على تل ويجاور كل تل مستنقع (بركة) وذلك نفس الوصف الذى ذكره على باشا مبارك في الخطط التوفيقية وأشرنا اليه في الصفحة الخامسة من الجزء الاول ، وقد بقيت هذه الظاهرة قائمة حتى كانت وزارة المغفور له محمد محمود باشا الاولى وكان من برنامجها الصحى ردم البرك والمستنقعات ، فاختفت جميع هذه البرك حتى سنة ١٩٣٨م

تذاكرنا يوماً أمر هذه الظاهرة ، فكان رأى فضيلة استاذنا الشيخ محمد يوسف أبو العطا ، ان القوم فيما مضى أخذوا مادة بناء مساكنهم من الاجر واللبن الزملي من رقعة هذه البرك فبنوا المساكن التى أخذت تتداعى بمرور الزمن فلما بنى غيرها ثم تداعى تكدست بعضها فوق بعض المرة بعد الاخرى وهكذا انخفض مكان (البركة) وارتفع المكان المجاور له ، فكان التل ؛ وهذا الرأى معقول ولا غبار عليه ، وهو في الوقت نفسه يوصلنا الى نتيجتين تتفقان معه تماما

فالنتيجة الأولى : ان سكان ابى كبير القدامى كانوا من الطبقة المتوسطة وليسوا من أرباب السلطان ولا من أرباب الثراء العظيم فلم يتمكنوا من جلب الأحجار لبناء مساكنهم وتشييد عمائرهم على عادة أرباب السلطان والثراء . والواقع يرشدنا على هذا . فلم نجد عندنا ولا بين تلالنا آثار تدل على حصون ، أو قصور ، أو معابد . أو مساجد ذات قيمة فنية أو أثرية ، ولم يحدثنا التاريخ بحدوث ميادين للقتال أو المعارك بها .

فهربيط وابو يسن لهما قيمتهما الأثرية القديمة وبلبيس والصالحية لهما أحداث من معارك سابقة فى عصور سابقة . ولهذا ولذلك صح ما قلت أنها كانت أقطاعا زراعيا فى نواحيه الخصبة . وصح ما يذكره على باشا مبارك من أنه كان يزرع فى بواطن كثبانها البطيخ وبساتين النخيل والليمون وغيرها من الفواكه المعروفة على عصره منذ قرن من الزمان تقريبا . ولا تزال كذلك الى الآن وزاد عليها ما جد من الفواكه كالمانجو والجوافى والبرتقال واليوسفى وغيرها من الاصناف الحديثة للفاكهة .

أما النتيجة الثانية : فهى ان اعلا التلال التى قامت عليها المساكن هى أقدمها وأكثرها سكانا من قبل . وتل العمارنة الحالى أعلاها فهو يربو فى علوه عن سطح المنزرع على خمسة أمتار وعلى باشا مبارك يقول فى خططه أن متوسط ارتفاع التلال عن سطح المنزرع متران ، ولعلنا اذا تبينا موقع هذا التل الجغرافى ووجوده فى الجهة البحرية والشرقية وعرفنا اتجاه الناس لاختيار مساكنهم فى مثل هاتين الجهتين ، واذا عرفنا انه يطل مباشرة على الأرض ذات الخصب والزراعة ومقابلته لاجود أطيان الناحية مباشرة ، ولا يخفى ان هذه الارض الزراعية الخصبة هى التى شق فيها محمد على الكبير (ترعة الصادى) وان الاراضى الرملية

والبور تلتف خلف التل وخلف مساكن البلد . تبينا ان اختيار هذا الموقع كان مبكرا وسابقا لغيره من المواقع والتلال والمساكن . فهو اذن أقدم الأحياء بل وأول بقعة سكنها الهذيليون القدامى الذين سميت باسمهم أبو كبير كما قدمت ، ثم أقام العمارنة بعدهم لقرنين من الزمان فاشتهر باسمهم بعد زوال شهرة من سبقهم . وهكذا الدنيا لكل زمان دولة ورجال .

موقف مشرف

اهتم العمارنة بالوفاق والاتفاق بين طرفى الخصوم فى بلدهم حفظا على وحدتهم وحرصا منهم على أمن بلدهم وطمأنينتها . حتى لقد تنازلوا عن أنانيتهم فى سبيل حل الخلاف . فجعلوا لشاهين الصادى رئاسة التحكيم - واستدامة لحياة الصفاء تركوا له التقدم بلا غضاضة على نفوسهم خصوصا لما تربطهم به من صلة القبيلة . ولما وجدوا فيه من اتزان وكياسة . قدموه ليكون ملتزما للناحية لما شهدوا منه من نصفة ومرحمة . ولايخفى ما كان للملتزم من اعتبارات . انهرفى مرتبة الحاكم والمالك المتصرف فى الارض

هل دام الوفاق

ولاشك أن حالة الحب والرضا والطاعة تدوم للرئيس العادل مادامت الامور تسير سيرها الطبيعى ومادامت خالصة النيات والحب متبادل بين الناس . أما اذا ظهرت الأثرة والانانية والطمع وهوى النفس فقد ظهر الفساد - ولقد استمر الوفاق قائما والصفاء شاملا حتى ذهب شاهين الى ربه مرضيا عليه .

وجاء من بعده خلف لم يسيروا سيره ولم يحتفظوا بمأثورخطته . فتذمر الناس من كل جانب وتبرم الكثيرون . وخصوصا بعد أن الغى محمد على الكبير نظام الالتزام سنة ١٨١٣ م وحد من سلطة الملتزم وأظهر من هيبة حكومته وحكامه . فانتزع الاراضى من تحت أيدى الملتزمين وفرض عليها الضرائب التي أوجب أن يدفعوها واضعوا اليد لخزانة

الحكومة راسا (اى للصيارف) وحدد للملتزمين وللمشايخ رواتبا زهيدة فى نظير قيامهم بمساعدة موظفى الحكومة فى أداء مهمتهم . ولما لم يكن فى استطاعة الملتزم مقاومة الحكومة لم يجد بدا من ظلم الاهالى وتسخيرهم وابتذاذ غلاتهم واموالهم . لذلك ثار العمارنة ضد هذه الحالة الجديدة الظالمة واجتمع عليهم لمعاونتهم وشد أزرهم الاقربون من أقربائهم وأنسبائهم وأصهارهم فظاهروهم

أسرة سالم أبو السيد

ومن هؤلاء الشيخ السيد ابو احمد والد المرحوم سالم افندى السيد والشيخ على الابزارى والشيخ على السبعينى الكبير والشيخ احمد عمار اللذان قدما من الاسكندرية للغرض نفسه والشيخ على حماد والشيخ ابراهيم عمرو والشيخ سليم أبو عقلة وكلهم كما ذكرت من اقرباء وأنسباء وأصهار أسرة سالم أبو يوسف كبراء العمارنة وشيوخها وتزعم الدفاع عن هذه القضية الشيخ السيد أبو احمد وكانت له صلة بالبيت المالك (بيت الوالى) حيث كان موظفا فى الاملاك الخاصة (بأدفينا) بمديرية البحيرة وتم لهم ما أرادوا وفصلت عشائر العمارنة وانفصلت عن رئاسة الصادى وأصبحت بلدا قائما بذاته سنة ١٨٦٠ م فى عهد سعيد باشا وأصبح الشيخ على محمد سالم يوسف كبير العمارنة (كفر أبى كبير) شيخا لمشايخها فى الوقت الذى كان فيه الشيخ سالم الصادى شيخ مشايخ أبى كبير - سارت الايام وتقدم الزمن وأباح الوالى للناس حق امتلاك الاراضى فكان سالم أبو السيد من أسبق القوم اشراء الاراضى كما دلت الوثيقة المبينة بالجزء الاول ثم تحسنت معه الاحوال وساعده الحظ مع كثرة جده واجتهاده كما ساعدته وظيفته بالجفلك فأحرز ملكا كثيرا فلما كان عهد توفيق باشا الخديوى ووضعت الحكومة نظاما جديدا لادارة القرى والبلاد وجعلت لكل بلد (عمودية) . وكان الشيخ على محمد قد أدركته الوفاة . كان أول عمدة لكفر أبى كبير نجله على بك سالم - وأول عمدة لابى كبير الشيخ النجدى سالم الصادى سنة ١٨٨٨ م

ولقد انمحى الاثر الذى أوجده نزاع العمارنة مع الصادى وعاد الصفاء مرة أخرى وصاهرت أسرة الصادى أسرة سالم السيد فتزوج الشيخ النجدى الصادى العمدة من شقيقة

سالم ابو السيد نفسه ، ولقد كان سالم افندى السيد حكيما فى عمله محظوظا فى كل ماسعى اليه وكان صالحا دينا تقيا استفادت منه أسرته اكبر الفوايد وجنت اعظم الثمرات بالنسبة الى اقرانها وزملائها ، كما أدى بعض الخدمات للمجتمع فأقام بعض المساجد واصلح البعض الآخر . وقد تقدم ماقام به أبناؤه من اعمال مماثلة .

حدثنى كبير من الاسرة انهم من جهينة . وجهينة من قدامى القبائل العربية التى قدمت مصر مع الفتح الاسلامى . ويقول المؤرخون انه كان لها خط بالفسطاط منذ بدئها كزميلاتها من القبائل العربية الاولى - وكانت اقامتها بحلب وصحراء حوران بالشام - ثم أقام كثير منها باقليم أخميم بصعيد مصر ، وقال ذلك الكبير ان جدهم الاكبر كانت له علاقة تجارية بمحمد على الكبير فقد كان يستورد له الخيول من الاقطار الشامية - ولما استقر الامر لمحمد على - اقام هذا الجد بادفينا ثم قدم الى ابى كبير كما تقدم

وحدثنى احد كبار السن ممن يلمون بتاريخ الاسر ان الشيخ السيد ابو احمد ولد بالوجه القبلى باقليم أخميم وكان لعائلته صلات قربى بالعمارنة ثم قدم للوجه البحرى مع اللجنة التى عينها محمد على الكبير برئاسة ابراهيم باشا لمسح الاراضى وتقدير ضرايب الاطيان وكان كبير مساحيها المعلم غالى ولعله والد بطرس باشا غالى سنة ١٨١١ م ولما انتهى عمل اللجنة اقام يعمل فى املاك الوالى الخاصة بادفينا وكان قد تعرف باقربائه من العمارنة اثناء مرور اللجنة وتأدية عملها ، وقد استدعته العمارنة لمعاونتهم كما تقدم وسواء كان هذا الامر أو ذاك فان بدء ظهور الاسرة وعلو نجمها هو بدء حكم الاسرة العلوية الكريمة .

عمد ابى كبير

(١) الشيخ النجدى سالم الصادى
(٢) الشيخ على سالم الصادى
(٣) محمد بك السيد عطيه
(٤) الشيخ عبد البديع محمد الصادى
(٥) حسنى افندى عبد البديع الصادى - العمده الحالى .

وهكذا بقيت الى الآن عمودية ابى كبير في أسرة الصادى ولم تفارقها الا فى حالة واحدة هى عمودية محمد بك السيد عطيه وهو قريب الاسرة المذكورة ونسيبها وكان رجلا قوى الشكيمة واسع الحيلة مارس العمل بالتجارة فأثرى وقوى مركزه المادى والادبى مدة حياته .

عمد كفر ابى كبير

(١) على بك سالم السيد
(٢) الشيخ حسن سيد احمد نمر (وسيأتى الكلام عن اسرته)
(٣) السيد بك سالم السيد
(٤) النجدى بك سالم السيد
(٥) احمد بك السيد سالم - نائب ابى كبير الحالى -
(٦) صالح افندى السيد سالم - العمدة الحالى -

وهكذا لم تفارق عمودية كفر أبى كبير عائلة سالم الا فى حالة واحدة وقد أنجبت الاسرة من الرجال المتعلمين من أحرزوا كفآت علمية ومكانات أدبية ومراكز اجتماعية و بينهم بضعة من كبار الموظفين فى وزارات الحكومة وغيرهم من القائمين بالاعمال الحرة العظيمة الناجحة

من الاعلام الظاهرة

بقيت أعلام ظاهرة تلوكها ألسنة الناس لم اتحدث عنها ولعلها ظهرت عقب العهد التركى أو بعده مثل (السلطان حسن) (كفر النجدى) و (البرماوى) و (شنن) و (كفر نمر) و (جزيرة فاضل) وللوصول الى معرفة هذه الاعلام لا بد من الأخذ بالاشاعة عن بعضها ثم بحثها ووزنها . لأن اغلبها غامض وليس لدينا أى مرجع يقطع بصحة الجزم فى موضوعها جميعها بالدقة

السلطان حسن

يقول جمهور الشعب ان السلطان حسن ولى من الأولياء . ويقول البعض أنه شيخ شريف من سلالة الحسن العسكرى . وقد لقب بالسلطان على غرار و بنفس الطريقة التى

لقب بها من قبل (السلطان الحنفى) أو (السلطان أبو العلا) أو على ما قيل فى عمر بن الفارض (سلطان العاشقين) ولكن امثال هؤلاء الشيوخ الثلاثة من الصوفية العظام والمرشدين الكرام لهم قيمتهم وشهرتهم ومآثرهم فى علم التصوف وتربية المريدين وفى عالم الشعر والأدب العربى الصوفى والفلسفى ، ولقد ذكرهم غير مرجع من المراجع مثل طبقات الشعرانى والمفاخر العلية فى مناصب السادة الشاذلية ، وكرامات الاولياء . وناهيك بابن الفارض الذى لاتزال كبار العلماء والمتفلسفين والمتكلمين والفقهاء والادباء يتكلمون عنه فى كل ناحية . أما هذا (السلطان حسن) فليس لدينا أى دليل ينبؤنا عن حياته ولا عن بيئته حتى يمكن الابانة عن حقيقة شأنه

قد يقال أن جمهور الشعب والعامة فى ذلك العصر المضطرب كان قليل الثقافة وكان تسير فيه الناس وراء الاوهام من خزعبلات الدراويش وارباب الطرق الذين يتصنعون الجذب ويعيشون تحت ستار الولاية ، فاطلقوا على أحد الدراويش لقب السلطان فبقى واشتهر كذلك الى وقتنا هذا . وقد يكون هذا صحيحا

ولكن الذى استطيع تقديره علاوة على هذا الزعم أحد ثلاثة أمور (١) فالسلطان حسن أحد سلاطين دولة بنى قلاوون وقد تكون الارض الزراعية والجزيرة الرملية البيضاء المسماه بهذا الاسم من ضمن أملاكه الخاصة ولا يبعد أن وليا أو درويشا عاش بها ومات ودفن بها فاصبح يعرف بالولى المدفون فى ارض السلطان حسن ثم عرف بعد مرور الزمن عليه بالسلطان حسن .

(٢) اطلاق الاسم وهو السلطان حسن على هذا القبر كما حدث بغيره فعندنا بالقطر المصرى وحتى بالاقطار العربية الاخرى جملة مزارات لشخص واحد وكل سكان منطقة يدعون ان صاحب المزار دفن بأرضهم بدعوى قصة مخترعة لاتمت الى الحقيقة فى شيء

(٣) ورد بالجبرتى ان أميرا من المماليك يسمى حسن بك ابو كرش سنة ١١٤٠ هـ فلماذا لاتكون هـذه البقعة ملكا له خلال العهـد التركى وأضفى عليه السكان السذج من الفلاحين هـذا اللقب مبالغة منهم فى تعظيمه وتفخيمه على عادة الطبقات الشعبية . ولا يخفى ما كان للمماليك والامراء والبكوات فى العهـد التركى

من النفوذ والسلطان وانقياد عامة الشعب لهم . ثم لماذا لا يكون شاكر باشا حينما اخذ في امتلاك هذه الارض وهو تركي الاصل كانت عنده عاطفة امتلاك أرض تركي كان قبله ؟ ثم لماذا سميت الترعة التي تستمد مياهها من ترعة الصادي في نفس هذه النقطة ترعة (أم كرش) ؟ الا يمكن ان يقال ان الارض التي شقت فيها لريها كانت مثلا في املاك حسن بك ابو كرش ؟ لعل هذه المزاعم أو بعضها يكون صحيحا

كفر النجدى

اما هذا النجدى الذى سمى باسمه الكفر المعروف فالثابت أنه جديد أى حديث الانشاء بالنسبة لغيره مما تقدم ذكره من الكفور ، أما العامة فيقولون أنه شيخ جليل من كبار الصوفية وينعتون له بعض الكرامات . بل يتغالى البعض فيقول انه صحابى ومن أهل نجد ويسمى (الشيخ محمد النجدى) والزعم الاخير ليس له قرينة من الصحة .

اما أنه من المتصوفة فجائز وأمثال هذه الدعوى كثيرة وكثيرة جدا ولكن المهم انه حديث العهد فلا تتعدى شهرته العهد التركى القريب فى عهد محمد على الكبير . فقد ظهرت الاسماء القريبة العهد بنا وبه تحمل اسم النجدى . ولم نسمع من قبلهم من استعمل هذا الاسم فمثلا سمى الشيخ محمد النجدى أبو جبل رحمه الله وهو أحد العلماء الاجلاء ومن مواليد ١٨٢٠ م تقريبا وكذلك الشيخ النجدى سالم الصادى المتقدم ذكره والنجدى بك سالم وغيرهم من النجود وكل من ذكرناهم لا يتعدون هذا التاريخ بل هم بعده . ولعلى أشهد بالجبرتى مايعطينا ظلا للمقارنة والاعتقاد بصحة هذا الزعم . ففى سنة ١١٤٠ ه أيضا وفى عهد حسن بك أبو كرش كان أحد البكوات الامراء من يسمى حسن جاويش النجدلى ثم من يسمى (الشيخ عثمان النجدى) أما هذا الاخير فقد اشتهر بالعلم والأدب والتقوى ومحبة الناس فلعله هو صاحب هذا القبر فهو أيضا قريب العهد بالاسماء المذكورة المسماة بالنجدى

البرماوى

اسم يطلق على عزبة بين ابى كبير وهربيط ، وقد كان يحمل هذا الاسم الشيخ ابراهيم البرماوى الشافعى وشيخ الجامع الازهر سنة ١١٢٣ هـ . ولعل هذه العزبة كانت من أملاكه أو من أملاك حفدته

« شنن »

وأما شنن فيطلق على الارض الرملية المجاورة لأولاد فضل غربى الكفر وقد أوردنا ذكره من قبل ، وهذا الاسم مشهور قبل سنة ١١٣٣ هـ كان الشيخ محمد شنن شيخ الجامع الازهر وكان واسع العلم واسع الثراء كثير الاملاك والمماليك والعبيد وقد خلف ثروة طائلة ذكرها الجبرتى ، وقال كان الامير احمد شنن من مماليكه وسمى باسم سيده ولكن لما توفى الشيخ اختلف مع ابنه لاسرافه واستهتاره فتركه وصار ضمن مماليك على بك الكبير الذى رقاه الى كتخدا الجاويشية وولاه الامارة والسنجقية وكان على بك من المعجبين به وتوفى الامير احمد شنن سنة ١١٩٢ هـ ويقال ان هذه الارض آلت الى احد حفدة الامير أو الشيخ منذ أكثر من تسعين عاما اشتراها من مصطفى بك على والد المرحومين عبدالله بك طلعت واسماعيل بك لبيب عضوى الحزب الوطنى على حياة مصطفى كامل باشا ومحمد فريد بك .

كفر نمر أو أولاد زغلى

ذلك هو الكفر الذى سكنه الحاج سيد احمد نمر كبير الاسرة المشهوره باسرة نمر بكفر ابى كبير وفد اليها فى عهد الخديوى اسماعيل فاستوطن الكفر الذى سمى باسم الاسرة وكانت تسبقه من قبل نسبته التى تعلن بانه من (اولاد زغلى) وكانت اقامتها فى بنى عبيد مركز دكرنس بالدقهلية

أما بنى عبيد فيقول المقريزى عنهم فى البيان والاعراب وقد اشرت لها فى صحيفة ١٦ من الكتاب الأول ان اصلهم من جذام وكان لهم ولبنى خليفه ولبنى حصن موضع

من حقوق هربيط يعرف (بالاحراز) على عهد السلطان صلاح الدين الأيوبى .
وكنت أحسب أن أولاد زغلى من بنى عبيد هؤلاء . ولكنى سمعت من غير واحد من أسرة نمر أن جدهم الأكبر هو الشيخ ابو العباس المرسى خليفة الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنهما ويؤكدون ذلك ، ومنهم من خلفاء الطريقة الشاذلية من كانوا يمارسون طقوس الطريقة ويؤدون مهمة الارشاد والدعوة الى الله ولهم اتباع ومريدون سارت شهرتهم بأنهم (أولاد زغلى) . أما أبو العباس المرسى فاصله مغربى من مدينة مرسيه الشهيرة بمراكش كما أن شيخه أبا الحسن الشاذلى مغربى الاصل من بلدة شاذله بتونس وفد الشيخان الى مصر حوالى سنة ٦٣٠ ه وكان لهما مقام دينى كبير ومنزلة بين شيوخ الصوفية وعلماء الدين يعرفها الخاص والعام استفاد الجميع منها فكانا يدعوان للتمسك بالدين والحماسة لكل مظاهره وناهيك بما لهما من النفحات الروحية العاطرة ولكن الأسرة كما يبدو أهملت أمر الطريق التى سار عليها من قبل (أولاد زغلى) عندما أخذ كبيرها يمارس الزراعة والحياة العملية فاقتنى الاملاك والاطيان وانصرف فى شئونها . وأصبح ينافس فى ذلك أسرة سالم أفندى السيد وكذلك فى المظهر الاجتماعى بالبلد ويتطلع الى (العمودية) (ص ١٦ من الكتاب الأول و ٢٩ من هذا الكتاب) ثم مالبث أن عاد الصفاء والوفاق بين الأسرتين وحصلت بينهما المصاهرة والتعاون على العهد الأخير

جزيرة فاضل

كانت هذه الارض تسمى فى القرن الخامس الهجرى (بنو عصر) وكانت تسمى فى القرن الثامن (بنو عصير) ثم أطلق عليها وعلى الحوض الزراعى (أبو عصر) وسماها على باشا مبارك (جزيرة ابى كبير) ومن بعد تأليفه للخطط التوفيقية أى بعد عام ١٣٠٥ ه عرفناها (جزيره فاضل) عندما اشتراها فاضل افندى الذى كان من سلالة تركية ومن أصحاب الثروة ومن المشهور عنه أنه كان ذو مروءة وكرم وكان ذو تقوى ودين . انفق على هذه الأرض أموالا طائلة قصد استغلالها واستثمارها ولكن

لكن أغلب أرض الجزيرة رمال تعلو على سطح المزرع من ثلاثة الى ثمانية أمتار كما وصفها على مبارك باشا . لم تأت بما أمل مالكها من ثمرة وأخيرا أوقفها على ذريته ومن حفدته الآن الأستاذ صلاح الدين فاضل أفندى الموظف بالسلك السياسى بوزارة الخارجية والدكتور محمد مراد أفندى الطبيب المعروف وعضو مجلس النواب السابق . آل بعض أرضها لورثة سالم أبو السيد ومنهم كريمته حرم المرحوم الاستاذ الأمير العطار عضو الحزب الوطنى ومنهم الاستاذين محمد بك عبد الله سالم مدير النقل بوزارة المواصلات وعبدالعزيز بك عبدالله سالم الوكيل المساعد لوزارة الزراعة سابقا . كانت الجزيرة ولاتزال تستعمل لزراعة البطيخ فى بعض بواطنها كما كانت . وأصبح بعضها حدائق وبساتين ذات ثمار وفاكهة من البرتقال واليوسفى والمانجو والليمون وغيرها .

السباعنة أو كفر الساحة

كان جدى لوالدتى الشيخ عباس على السبعينى رحمه الله عندما يكتب كلمة (سبعين) يضع العدد ٧٠ فوق السين فكنت أفهم فى السباعنة أن مفردها سبعين نسبة الى ٧٠ وكان المرحوم محمد افندى السخيلى يذهب فى ذلك الى أن جدهم كان يسمى (سبعينى) ولكنى أخيرا تحققت غير هذا وذاك ، حضرت يوما بطريق المصادفة تحقيقا مع أحد أعراب فلسطين ، فسأله المحقق عن اسمه وبلده ، فذكر الاعرابى اسمه وذكر ان بلده (السباعنة) فاستوضحه المحقق ما السباعنة ؟ فاجاب الاعرابى أنها مركز (بير السبع) بفلسطين فعلمت منذ ذلك الحين ان السبعينى والسباعنة نسبة الى عرب بيرالسبع وليس هذا بغريب فان القوم فى سحنتهم وبزتهم وأجسامهم يشبهون تماما أولئك العرب الضاربون حول بير السبع

كان جدهم الاكبر الشيخ على السبعينى الكبير يقيم بجزء من أسرته بالاسكندرية ويقيم بالجزء الآخر بابى كبير وكانت له أعمال تجارية وزراعية هنا وهناك كما كان له أولاد وعشيرة لاتزال هنا وهناك التشابه الملحوظ فى بنيه (الشياخة) فقد كانت فيهم شياخة كفر أبى كبير ونيابة العمودية حتى عودنا الاخير قرابة نصف قرن ولا تزال

فيهم يحي الجرك بالاسكندرية وكوم الشقافة بكرموز الى الآن

ولعل جيلنا لا ينسى ما كان عليه الشيخ عباس السبعينى من الرجولة ومن اللباقة وحسن تصريف الأمور الادارية طيلة حياته . وما كان له من الأمثال العامية الذائعة الشهرة التى اعتزم أن أجمعها قريبا واسميها (أمثال السبعينى) ان شاء الله

أما كيف أطلق على حيهم (كفر الساحة)؟ فلأنه منذ عرفت التجارة فى العهد القريب من جيلنا الحاضر كان ساحة التجارة ، فهو منذ عهد الخديوى اسماعيل وما قبله يمكن أن يقال عنه (موسكى ابى كبير) ففى شارع الشيخ محمد عبده الآن كان بيت الزور . وكان بيت الشمسى . وبيت الغازى . وبيت حيده وهى بيوت تجارية مصرية وفى حارة السخيلى كان بنك بريكلى تمبا كبلو . وبنك كوستيه حاجى جونى وغيرها وهى بيوت تجارية أجنبية تعمل بتجارة القطن والابزار (على باشا مبارك) ونظرا لما كان بهذا الحى من العمران انشأ المغفور له أحمد رشيد باشا مسجده المعروف (بجامع الساحة)

اما ابو عمار

اذا كان للنفس من نزعة — الى الفخر فى أصلها شائعة
وان كان ولا بد من رجعة — لماض له شهرة ذائعة
فانا (بنو زيد) من معشر — صحائفهم فى الورى ناصعة
وأما ابتعادى عن حيهم — فحالات دهر هى المانعة
فكل محوط بأقداره — رهين بقوتها الدافعة

* * *

اذا قيل انى الى غيرهم — فجهل ودعوى هى الفاجعة
وانى على الرغم لا أدعى — مكانا سوى حالتى الواقعة

يذهب الكثير من الناس مذهب التفاخر بالانساب والأحساب وما كنت أود أن أذهب هذا المذهب لأنه وسيلة الضعيف الذى لم تهيء له ظروفه مقاما ملحوظا ولا يستطيع أن يقف بنفسه فى مكان الشرف والكرامة . فهو اذ تنزع نفسه الى الفخر

وهو فى طبيعة النفوس البشرية يتلمس فى قومه أو فى آبائه واجداده ما يرتكن على مركزه السابق ليشبع غريزة النفس وشهوة الهوى بحق أو بغير حق

ولست أريد ان أقرر باطلا . فجدى لوالد احمد عمار ليس من أهل أبى كبير ولكنه من بنى زيد بمركز فاقوس وبنو عمومته عبد العال جد مصطفى باشا خليل واسماعيل جد امام بك اسماعيل واخواله العمارنة بأبى كبير . فهو احمد بن عمار بن عدوى بن مصطفى بن سلامة بن حسين بن عبد الرحمن بن عبد العزيز . جد بنى زيد الاكبر الذى وفد لمصر من الجديدة القرية التى بين مكة والطايف وأقام بالشرقية واشتهر هو وعشيرته (بنى زيد) . أما زيد فهو زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ وحبيبه . وأمير مؤتة والشهيد الأول بمعركتها الذى حزن عليه رسول الله ﷺ وعلى من افتقدهم الاسلام من الشهداء فى مؤتة والذى رثاه حسان بن ثابت بقوله فى قصيدة مطولة منها :

يا عين جودى بدمعك المنزور — واذكرى فى الرخاء اهل القبور
واذكرى مؤتة وما كان فيها — يوم راحوا فى وقعة التغوير
حين راحوا غادروا ثم (زيدا) — نعم مأوى الضريك والمأسور
حب خير الأنام طرا جميعا — سيد الناس حبه فى الصدور
ان (زيدا) قد كان منا بأمر — ليس امر المكذب المغرور

ولقد شهد زيد بدرا وما بعدها من الغزوات، عن سلمة بن الأكوع : قال غزوت مع النبى ﷺ سبع غزوات ، ومع زيد سبع غزوات يؤمره علينا رسول الله ﷺ أخرجه البخارى وعن عائشة ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة فى سرية الا أمره عليهم ولو بقى لاستخلفه . أخرجه ابو بكر بن أبى شيبة باسناد قوى عنها . وعن ابن عباس رضى الله عنهما . لما تبنى النبى ﷺ زيدا زوجه زينب بنت جحش وهى بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب وزوجه قبل ذلك مولاته أم أيمن فولدت له أسامة . وقال أبو يعلى : آخى النبى ﷺ بين زيد وبين عمه حمزة . وقال ابن عمر : ما كنا ندعو زيد بن حارثة الا زيد بن محمد حتى نزلت الآية (ادعوهم لآبائهم) الحديث أخرجه البخارى . ومما اتفق عليه الرواة . انه لم يقع تسمية أحد باسمه فى القرآن الا هو .

وعن اسامة بن زيد عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ : يازيد انت مولاى ومنى واحب الناس الى ، اخرجه بن سعد باسناد حسن وعن عائشة قالت : قدم زيد بن حارثة المدينة ورسول الله ﷺ فى بيتى فأتاه فقرع الباب فقام اليه حتى عانقه وقبله . ومات وسنه خمسة وخمسين سنة . فى العام الثامن من الهجرة (ابن هشام . السيرة الحلبية)

هذا هو زيد جد (بنى زيد) وجد أحمد ابو عمار

ذهب احمد ابو عمار على رأس فرقة من عشيرته للعمل بحفر ترعة المحمودية التى شقها محمد على الكبير لتصل النيل بالاسكندرية ولما انتهت مأموريته أعجبته الاسكندرية فاقام بها ولما كان العمارنة أخواله تزوج منهم وعمل بتجارة الاخشاب هناك واقبلت عليه الدنيا وكان ممن تعرف بهم هناك الشيخ على السبعينى ، وقد قدمت انهما قدما الى أبى كبير لنصرة العمارنة . وتوثقت الصلة بينهما حتى بقيت فى أعقابهما . ولما توفى ودفن بالاسكندرية . أصر الشيخ على محمد يوسف الا أن تقيم ابنة أخيه بجواره وبين أخواتها والدة سالم أبو السيد ووالدة سالم أبو خليفه ووالدة سليمان الابزارى ووالدة على أبو عمرو ووالدة مرسى أبو ثابت . وكذلك أقامت الجدة مع أولادها ومنهم سالم والدى الذى قدم من الاسكندرية ولم يتجاوز سنه السادسة . فاذا أحب على عمار أبا كبير فانما يحبها لأنها مسقط رأسه ومسقط رأس والدته بنت الشيخ عباس السبعينى ومثوى أبيه وأمه

حركة الرقى بأبى كبير

أما عوامل الرقى فى كل بلد من بلاد العالم . فالثروة . والعلم

أما عن الثروة بأبى كبير : فقد تكلمت فى الكتاب الأول بالصفحات ٨-١١ عنها منذ سنة ١٨٥٨ م وقلت ان الاهالى كانوا يمتلكون ٤٣ فدانا فقط اذ استثنينا ملك شاكر باشا وقدره ٤٨٣ فدان وملك بكباشى ايوب وابراهيم اغا صاغ قوله اغاصى وبينت الأسباب التى دعت الى ذلك . ولاشك أن الثروة المصرية فى ذلك الحين كانت فى امتلاك الاراضى وزراعتها وليس ثمة تعليم ولا ترقى فى العمران بغير ثروة ومال استثنينا بعض الحالات النادرة . وطالما أن الثروة بأبى كبير قد انكمشت فالتعليم بها

قد انكمش تبعا لها .

فلا الحكومة انشأت بها معاهد للتعليم شأنها شأن القرى الريفية فى ذلك الوقت . ولا الاهالى قادرون على الصرف على أولادهم فى خارج أبى كبير من عواصم القطر التى وجدت بها معاهد للتعليم . لانهم مشغولون بطالب الرزق وتحصيل العيش . خصوصا وعماد الثروة وهى الاطيان قد انتزعت من بين أيديهم وأصبحت لغيرهم كما تقدم وأصبح طريق تحصيل العيش هو سبيل التجارة وناهيك بتجارة تقوم بغير رأس مال بل بطريق الكد والنشاط والانتشار فى الارض بالتافه القليل . وقد افردت بابا خاصا للتجارة سأتكلم فيه عنها لانها قد اصبحت عماد الثروة بابى كبير بعد ان ألم بحركات التعليم بها

اما التعليم بابى كبير : فلابد قبل الدخول فى الكلام عنه أن أمهد بكلمة موجزة عنه بمصر عامة . وقد كنت القيت محاضرة فى هذا الباب بدار الاخوان المسلمين بابى كبير لمناسبة الدعوة لانشاء مدرسة ثانوية كاملة فى مساء الثلاثاء ٢١ / ٥ / ١٩٤٦ وهى التى أشرت اليها عند الكلام عن (على بك شاكر زعيم نهضة التعليم بابى كبير) واقتطف منها الآن مايلى :

كان الازهر الشريف هو المدرسة الوحيدة العليا التى يتخرج منها علماء الشرع الشريف كما كان هو الجامعة التى يدرس بها علاوة على علوم الدين الطب والهندسة والفلك وعلوم اللغة والشعر والنحو والصرف وعلوم البلاغة . وغيرها كالتصوف والفلسفة وذلك منذ أكثر من الف عام فهو المنارة التى يشع منها نور العلوم والمعارف

ولم يكن فى أى فترة من فترات تاريخه اسوأ حالا ولا أقسى جمودا من تلك الفترة المضطربة عهد العصر التركى عهد الفوضى والانحلال والتأخر وبقى على هذه الحالة تقريبا الى ان قدم الى مصر السيد جمال الدين الافغانى . فكان الازهر لايعنى الا بالعلوم الدينية وما يوصل الى دراستها مما هو من لوازم تفسير القرآن الكريم والحديث والفقه وفى صورة جامدة

فلم يعجب المصلحون الدينيون والاجتماعيون هذا الجمود فى الازهر ، لانهم رأوا أن الاسلام لا يدعو للدين فحسب بل يدعو للدين والدنيا معا . فان عمارة القلوب

بالعقيدة الدينية الصحيحة من خالص التوحيد بالتسليم لله السيد المطلق فى تصريف الوجود بمحض ارادته ، ثم بتزكية النفس وبفعل الخير والتقوى . وكذلك عمارة الدنيا بالنظر للعالم والتماس العلم بالعالم برسائل العصر وعلومه واسلحته

وكان السيد جمال الدين زعيم المصلحين الدينين والاجتماعيين قد لمس هذه الحالة . فبث الروح العالية ودعا للاصلاح الدينى وللعمل الاجتماعى . ولما كان لاسبيل الى ذلك مع وجود الاجانب واحتلالهم للبلاد الاسلامية . دعا أيضا لرفع النير الاجنبى

ولقد لقيت دعوة الاصلاح الدينى مقاومة وعنتا من الشيوخ المحافظين ومن الحكام المسيطرين والمحتلين على السواء وعلى الاخص من الانجليز . ولكنه ظل يكافح حتى بث الفكرة فى روح الكثيرين من العلماء والكبراء فغرس هذا الوعى فى افئدة طلابه والمعجبين به الذى حملوا أمانة الاصلاح وراية الاستقلال

وكان خليفته فى الدفاع فى هذه الافكار المرحوم الشيخ الامام الاستاذ محمد عبده

أما الخديوى اسماعيل فكان يعرف قيمة العلوم العصرية ويشجع على تعليمها لحسن تربيته فوجه عناية لهذه الناحية ، وانشأ كثيراً من المدارس بالقـــاهرة والاسكندرية وبكثير من مدن الاقاليم . ولقد كانت حين جلس على عرش مصر سنة ١٨٦٣ م ثلاثة مدارس فقط وعند عزله وتولية الخديوى توفيق باشا سنة ١٨٧٩ م كانت ثلاثة واربعين مدرسة ، وكان الشيخ محمد عبده قد بدأ نشاطه بالدعوة الاصلاحية عمليا فى أواخر عهدة اسماعيل وأخذ يكتب فى جريدة الاهرام الاسبوعية (وقتئذ) وفى سنتها الاولى سنة ١٨٧٦ م فكتب فصولا متتابعة ســـامية المرمى قوية الروح اشتملت على اصول الدعوة الاصلاحية فاسترعت تلك الفصول نظر الناس اليه وهو فى يقارب السابعة والعشرين من عمره خصوصا ماحوت تلك الفصول من العقل والجرأة وقد حدث الاستاذ الامام عن دعوته بنفسه فقال :

ارتفع صوتى بالدعوة الى أمرين :

الاول : تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الامة قبل ظهور الخلاف والرجوع الى كسب المعارف الدينية من ينابيعها الأولى ، واعتبارها ضمن

موازين العقل البشري التي وضعها الله اترد فى شططه . فالدين على هذا الوجه يعد صديقا للعلم باعثا على البحث فى أسرار الكون ، داعيا الى احترام الحقائق الثابتة . مطالبا بالتعويل عليها فى أدب النفس واصلاح العمل

الثاني : اصلاح أساليب اللغة العربية فى التحرير

وأمر آخر : هو التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدالة على الحكومة :

أما فى الامر الاول . فيرى الاستاذ الامام ان ارتقاء المعارف وتعلم العلوم العصرية هو سبب ارتقاء الامم فى الثروة وفى القوة . ومن مقالاته التى نشرت بالاهرام ماملخصه : علينا ان ننظر الى احوال جيراننا من الملل والدول . فان الذى نقلهم من حالهم الاول وأدى بهم الى الغنى والقوة . فتسلطوا على العالم بالمال وبالقوة وبالرجال ، ذلك هو ارتقاء المعارف والعلوم عندهم . وهو الذى قادهم الى رشادهم واكتساب خيراتهم . وتجنب مضراتهم . فاذن اول واجب علينا هو السعى بكل جد واجتهاد فى نشر هذه العلوم فى أوطاننا .

هذه هى دعوة السيد جمال الدين وخليفته الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده . نرجع الى حالة التعليم بابى كبير فى ذلك العصر الذى بدأت فيه هذه الدعوة . كانت حالنا بالريف ان نتعلم حفظ القرآن الكريم فى كتاتيب القرية على المشايخ من الفقهاء الذين لا تتعدى معلوماتهم حفظ القرآن والقراءة والكتابة فى أبسط أشكالها ودرجاتها ، ومن هذه الكتاتيب يذهب بعضنا الى الازهر لتلقى العلوم فيه على الصورة السابقة ومن هذه الكتاتيب أيضا يذهب البعض الآخر الى دواوين التفاتيش الزراعية للجفلك أو الابعاديات فيتعلم الكتابة (الديوانى والحساب) على طريقتها القديمة . وفى النادر يؤخذ بعض البارزين أخذا الى المدارس العالية فى ذلك الوقت كالمدرسة الحربية ثم مدرسة الطب التى انشأها محمد على الكبير من قبل كما حدث لعلى باشا مبارك مثلا حينما اخذ من مدرسة ميت العز الى القاهره ولم تخرج كتاتيب ابى كبير عن محاذاتها لنمط الكتاتيب بالريف الآخر

واقدم الكتاتيب التى عرفت كما يروى لنا كبار السن الكتاتيب الآتية على حسب الأقدمية : كتاب الشيخ سيد أحمد كرسوع ، الشيخ أبو المجد ، الشيخ ابراهيم جعفر ، الشيخ حسن الدربكه ، الشيخ السيد محمود ، الشيخ جاد الحق محمد ، الشيخ محمد أبو عمر ، الشيخ على السيد قوطه (وفيه قرأت أولا) ومن هذه الكتاتيب تعلم غالبية الفقهاء والعلماء ، والذين يحسنون الكتابة والقراءة . اما الكتاتيب الراقية التى كانت لتحفيظ القرآن وتعليم القراءة والكتابة والخط والحساب فمدرسة السيد بك سالم السيد انشأها سنة ١٩٠٧ م ومدرسة الشيخ السيد عبد الهادى عمرو فيما بعد

أما المدارس العصرية ، فاول مدرسة نشأت بابى كبير على غرار الدعوة الجديدة مدرسة النجاح مدرسة أهلية انشأها الاستاذ نافع محمد وكان من بين أساتذتها الاستاذ أمين ابراهيم قبل سنة ١٨٩٠ م تقريبا وكانت بالمنزل القديم الذى كان يملكه عباده بك سالم بالعبارنة وفيها تعلم اللغة الفرنسية وكثير ممن هم فى سنه وهى مدرسة ابتدائية انتهى أجلها لعدم توفر المال لدى القائمين بأمرها

مدرستان ابتدائيتان للتبشير المسيحى

ثم نشأ بعد ذلك مدرستان هما مدرسة اسكندر ومدرسة كيرلس وكان غايتهما التبشير بالدين المسيحى والدعاية للانجليز المحتلين ومنهم كانا يستمدان بعض المال ولكنهما لقيا الجفاء وعدم الاقبال عليهما فغلقا أبوابهما

مدرسة على بك شاكر

حدثنى الشيخ عبد المعطى جاد الحق رحمه الله . عن سبب أنشاء على بك شاكر المدرسة الابتدائية فقال : كنت ماذون الشرع الشريف وكنت أعرف أن مدرستى اسكندر وكيرلس تبشران بالدين المسيحى وخشيت على أولادنا أن تتزعزع عقيدتهم فاتفق ان ضمنى مجلس اجتمع فيه المرحومون على بك سالم والسيد بك سالم والنجدى

بك سالم وعلى بك شاكر فشرحت لهم حال هاتين المدرستين فاتفق الأربعة على انشاء مدرسة ابتدائية على نفقتهم جميعا على أن يقوم كل منهم بحق الربع فى التكاليف والنفقات وكان على بك شاكر كثير التأثر والحماسة للمشروع فاصر على أن يقوم بالعمل منفردا ولم يمر وقت طويل حتى شرع فى التنفيذ فكانت المدرسة الحميدية الاسلامية سنة ١٩٠٤م وكانت محل اعجاب النـــــاس لافى ابى كبير فحسب بل فى كافة مدن القطر المصرى وزعم آخرون ان على بك شاكر كان من المغرمين برتبة الباشوية وكان الخديوى عباس الثانى يشجع التعليم العصرى كما كان يفعل والده وجده العظيم ويهب الرتب لمن يقوم من الاعيان فطمع شاكر بك فى الحصول على هذه الرتبة

ولا يعنينى تحقيق المسالتين بل الذى أعنى به أن المدرسة جاءت اعجوبة فى بابها فريدة فى نظامها بالريف وكانت أنموذج التعليم العصرى بحق بابى كبير وأحرزت كثيرا من النجاح والتفوق وحصلت على نتائج لايستهان بها ثم أحرزت التفوق فى كثير من المباراة والعرض فى موسيقاها وكشافتها وفرقها الرياضية فى مدينة الاسكندرية سنة ١٩٠٦ م وبحضور الخديوى عباس وأمراء البيت المالك وولى عهد اليونان الذى كان يزور مصر فى ذلك الوقت قد تغلبت على مدرسة جمعية العروة الوثقى التى كان يرأسها سمو الأمير عمر طوسون وغيرها من المدارس الاهلية ولايزال بعض الطلبة الذى شهدوا هذه المباراة على قيد الحياة الى الآن

وكان من تقاليد المدرسة أن يطوف طلبتها باحياء البلد وشوارعها بكامل نظام فرقهم وملابسهم من موسيقات واسلحة وكشافة وطلبه ومدرسين فى موكب كبير فى المواسم الدينية واذكر وأنا صبى فى الكتاب ان شهدت موكبا من هذا النوع بعيد رأس السنة الهجرية سنة ١٣٢٥ وكان يتقدم الموكب صاحب المدرسة على بك شاكر وقد ركب جواده وتزى بالملابس العربية العباءة والعقال وتمنطق بسيفه وسارت الاعيان والتجار فى ركبه . وكان ما كان من الحفاوة بالموكب وما انضم اليه من الطبول والمزمار البلدى ومشايخ الطرق الصوفية بازيائهم التقليدية . تصورت هذا الموكب فلم أتمالك نفسى حتى قلت فيه شعرا وفيها آلت اليه حال المدرسة وحال على بك شاكر من بعد

ذكريات الصبا تهب تباعا   من طوايا النفوس تشوى سراعا
تستحث الشعور فيضا وعرضا   ويسيل القريض سمحا وطاعا

* * *

اذكر اليوم موكبا يوم حافل   ماج موجا وعج بالقوم ساعا
يوم بدء انتصار حق تأذى   بضلال وباطل قد تداعى
هجرة للرسول كانت فخارا   فازدهى النور وقدة واتساعا
اظهر الله اثرهـــا فضل طه   حين أولى لدينه اتباعا
فاضاء النجاد فى كل صوب   وأظل الورى وعم البقاعا
قوة للسماء نور ايمان قلب   جامع للنهى تحدى ضباعا

* * *

اذكر اليوم فارسا ذا جلال   يملأ الجو شهرة وسماعا
قد تبدى مع (العبا) عربيا   فى (عقال) مقدما ومراعا
وهو فى الاصل والارومة شهم   من (بنى الترك) محتدا وطباعا

* * *

فارس يمتطى جوادا أصيلا   ثم يمشى مهندما وشجاعا
لاحقته جنوده أشـــبال   فى بنيئا مدربين تباعا
وحدات تمر أولى وأخرى   فى انسجام وما التناسق ضاعا
وكميت يمر حذو كميت   حامل الرمح شاخصا مطواعا

* * *

منظر رائع وركب عجيب   كالرؤى دائما تشع شعاعا
نصف قرن مضى ولازال يضوى   ماثلا فى الجنان يغرى اليراعا

* * *

ذلك الفارس المبرز سمح   جمع الناس حوله اشياعا
فهو روح وقوة وحياة   ماظفرنا بمثلا أبداعا
غرس العلم فى الشباب فريدا   حسبة لايعز عنه المتاعا
ساقه طفرة ببذل وحزم   ساخرا بالزمان مهما أضاعا
جاء (بالكشف) والرياضة قبلا   كنظام وجد منه اختراعا
فوجدناه بعده بعد حين   وسنين لدى المدارس شاعا

سيرة حلوة ومعنى شريف يفتح الذهن يأخذ الاسماعا
اترانا وقد الفنا التناسى ؟ قد جفوناه أم جحد ناسراعا ؟

* * *

تلك والله حسرة ودموع عبرة فى الزمان مهما استطاعا
هل حفظنا الجميل والخير أبق عندما أنهار ركنه وتداعى
وتولى الكريم توا وصرنا لانحييه ، لانؤدى الوداعا
وقبرنا بأرضنا فى جمود وتوارى ولم يجد ملتاعا

* * *

هذه روحه تطل علينا من أعالى خلودها استطلاعا
هل ترانا قد ابتغناة حقا ؟ أم ترى مابناه (شاكر) ضاعا ؟

* * *

وجب اليوم أن نشيد صرحا ثم نبنى الى العلا أوضاعا
وجب اليوم أن نسير برفق فى وفاق نألف الاجماعا
نجمع المال للمدارس طوعا ليس بذلا وليس شحا مطاعا
لنؤدى الوفاء من غير عسر ويكيل الوفى بالصاع صاعا
فمنار العلوم هادية الخلـــق لمجد الحياة حقا مشاعا

والى هنا نمسك عن بقية المحاضرة فالغرض منها التمهيد لموضوع المدرسة

فان حاجتنا القصوى للمدرسة الثانوية شديدة فهى توفر علينا كثيرا من النفقة اذا رغبنا الاقتصاد والتوفير ، وتجعلنا مالكين لزمام الابناء مهيمنين على سلوكهم واخلاقهم ومبلغ جدهم ونشاطهم . بعد أن ظهرت لنا من نتائج الامتحانات درجات طلابها ومبلغ مستواهم بالنسبة لغيرهم ومما يساعدنا على تنفيذ المشروع ان ناظر المدرسة هو أحد أبناء المركز ومن رجال التعليم المخلصين لرفع مستوى المدرسة ذلك هو محمد بك أحمد الألفى . فعلينا أن نقوم بواجبنا لجمع بعض المال للمساعدة على التعجيل والتنفيذ . وها قد أظهرت لكم ماقام به رجل بمفرده . هو على بك شاكر . ضحى بماله وأملاكه فى مثل هذا الواجب . ولقد كان لنا فيما مضى العذر أو بعض العذر حينما كانت الثروة معدومة . أما وان جميع العوامل التى أخرت فيما مضى القيام بمثل هذا العمل قد زالت

فقد أصبح فى أستطاعتنا أن نعمل المثل والله اسأل ان يوجه لنــا القبول . ومالنا الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا

صرخة فى وادى

هذه هى المحاضرة التى لقيت معارضة ولقيت مقاومة من بعض الجهات وقيل عنهـا أن مشروع المدرسة ليس المقصود وانما كان ثانويا . وان الغرض الحقيقى هو دعاية حزبية . وهكذا تضيع المصالح النافعة بين القيل والقال و بين كلمات . سعدى . وفدى . دستورى . اخوان مسلمين وتبرز الحزبية العمياء . وذلك كله موجب للاسف

أما ردى على هذا المزاعم فقد نشرته فى ٢٥ مايو سنة ١٩٤٦

ما كنت أهزل ساخرا ومهاترا — فأميل ميلا أو أحابى فرطا
كلا ، ولا المألوف انى مغرض — بل ناصر الحق الذى ماقنطا
أسفى على قومى وماقد بدلوا — فى دعوتى ظلما وشطوا شططا
العلم فوق الحزب يعلوا ثم لا — أدعوا لغير العلم حرا نشطا
يهديكم المولى ويعفو بعدما — أولتموا عنى وقلتم لغطا
هبوا لفعل الخير وارعوا وطنا — واستدركوا ماقد تولى غلطا
(فعلى شاكر) قبلكم ضحى وما — طلب الجزاء ولا الوفاء اشترطا

* * *

والحر لاينسى جميلا سبقا — يزجيه بالشكران فضلا وعطا
لم أدرحتى أروم وصفا صادقا — أنسى هـذا أم ملاك هبطا
أم أمة فى واحد خطت لنا — نشر المعالى والأمانى خططا

وان الذى دفعنى لاعادة هذا الموضوع أن بعض القوم لم يستمعوا له فلهم أن يقرءوه وأن يحكموا ضمائرهم فى مراميه الحقيقة . وان يرجعونى الى الصواب بعد اذا كنت مخطأ واذا كان ما أشيع عنه هو الخطأ فان احب شىء لى أن نعمل سويا على السعى فى تحقيقه والآن وقد اقتنع حضرة مامور مركزنا ابراهيم بك ابراهيم على ذلك الرجل التقى الفاضل فالف لجنة لتعمل برأى الجميع لاغراض الاصلاح فى ذاتها فبعد أن أتقدم

اليه بالشكر على هذا الشعور النبيل وعلى عاطفة الاصلاح التى أوحت اليه بالفكرة .
أرجو أن نقوم جميعا بما يجب علينا نحو الخير العام ولا ندع هذه الفرصة تفلت من أيدينا مرة أخرى .

التجارة هى الظاهرة الكبرى بابى كبير

نقدنى فضيلة الأستاذ الشيخ محمد نبيه الغرباوى واعظ المركز لأنى أشرت للتجارة فى كتابى الأول اشارة خفيفة ، والتجارة هى الظاهرة الكبرى بابى كبير فقد كان الأحرى أن أتوسع فى الكلام عنها . قلت نعم ولكن هذا الموضوع سبق لى فيه الكلام بما قد يكون كافيا منذ عشرين عاما . فقد كانت بابى كبير غرفة تجارية من سنة ١٩٢٤ الى سنة ١٩٣٢ وكان للغرفة اتصال دائم بقسم الغرف التجارية بمصلحة التجارة والصناعة التى كان يهمها أن تعرف كثيرا عن التجارة وعن التجار فى كل البلاد . فطلب منى حضرة مفتش الغرف التجارية المرحوم الأستاذ حسن الحطيم أن أضع تقريرا عن أبى كبير وتجارتها وتجارها ليودع بسجلات المصلحة . فارسلت هذا التقرير فى ٢٠ مارس سنة ١٩٢٨ . ولكن قبل بيان التقرير راحب أن أقدم كلمة عن الغرفة التجارية بابى كبير

كان من برنامج أول حكومة للوفد رأسها الزعيم الخالد المغفور له سعد زغلول باشا سنة ١٩٢٤ أن تعمل على تعميم انشاء غرف تجارية تضم اليها جمهور التجار من كافة المهن والحرف فى عواصم المديريات وعواصم المراكز

وكانت أبو كبير برغم عدم وجود مركز بها سباقة الى تلك الرغبة لصلتها الكبرى بالتجارة فتألفت غرفتها بحضور حضرة مفتش الغرف التجارية اذ ذاك الأستاذ جلال حسين افندى طبقا للنظام الموضوع

سارت الغرفة بخطى واسعة وأحرزت نجاحا باهرا حتى لقد كان لها لدى قسم الغرف التجارية تقدير خاص فكانت فوق مستوى كثير من غرف عواصم المديريات وشهد مندوبوها كافة المؤتمرات واللجان والاجتماعات الاقتصادية كما كانت عضوا فى لجنة وضع مشروع الغرف التجارية الذى كان يرأسه المغفور له ويصا بك واصف . واستمرت

تفصل فيما يجد من خلاف بين اعضائها بطريق لجنة المصالحات فيها حتى جاءت وزارة دولة صدقى باشا سنة ١٩٣٠ فبدأ الفشل يدب بين أعضائها وارتطمت بصخرة السياسة والمنافسة على الرئاسة وما وافت سنة ١٩٣٢ حتى أصبحت فى خبر كان وهكذا مصير كل عمل تنفث فيه السياسة سمومها وتظهر فيه الاهواء الشخصية أما أعضاء الغرفة فهم :

الحاج مصيلحى على المسيرى . رئيس ، الشيخ احمد بدوى والحاج السيد حسن عافيه وكيلان ، الشيخ عبد الحميد ابراهيم اسماعيل امين صندوق ، على افندى سالم عمار سكرتير عام ، وأما بقية الأعضاء فهم . السيد افندى عبد اللطيف . الشيخ محمد عبد السميع ، الشيخ عبد القادر عبدون ، ابراهيم افندى خضر ، محمود افندى ابراهيم محمد ، الحاج نعمان نعمان ، الحاج محمود حسن محمود ، الحاج احمد أبو السعود ، الحاج خير الله محمد ، السيد افندى الفرورى ، الحاج محمد جبر ، الحاج محمد عبد الفتاح ، الحاج محمد سليمان ، الحاج ابراهيم شاهين ، الحاج على بربر ، الحاج عبد الكريم احمد نصر ، الحاج عبد الحميد افندى نصر ، الشيخ احمد على كاشف ، الشيخ عبد الرحمن سالم كلوب . الحاج موسى الشرقاوى ، الحاج سالم محمد عبد الهادى ، الحاج ابو هاشم السيد ، السباعى افندى نجم ، رمضان افندى زناتى ، الحاج محمد عبد الرحمن عبد الواحد ، الشيخ عبد العال كشبور ، الشيخ سليم سليم ، الشيخ محمد غريب ، الشيخ نعمان نمنم ، الحاج عزازى على ، الحاج أبو هاشم أبو السعود ، الشيخ مصطفى ابراهيم واكد ، عبد العظيم أفندى رفعت ، السيد افندى المتيم ، والشيخ السيد احمد أيوب ، الشيخ محمد سلامه ، محمد أفندى الوزيرى ، الشيخ عبد العال الشرقاوى ، الحاج حسن احمد حسن ، الشيخ عبد المعطى الحديدى

التجارة بابى كبير

نص التقرير المرفوع منى لمصلحة التجارة والصناعة

فى ٣٠ مارس سنة ١٩٢٨

ليس من المستطاع الكلام عن التجارة بأبى كبير فيما قبل ولاية محمد على الكبير لأن الآباء والأجداد لم يعنوا بتدوين شيء عنها ولم يحفظوا لنا ما يمكن الاعتماد عليه فى البيان !

فاذا كانت أنواع الفوضى والجهل والفقر التى كانت فاشية خلال العهد التركى قد أنستهم الاحتفاظ بأصول أنسابهم وما بقى منها غير ماتلوكه الألسن من الأقاويل المخترعة التى لاتستند الى حقائق ثابتة ، فكل امرىء يخترع لنفسه مايتفق وهواه ومايزعم انه يرفع من شأنه وأسرته فما بالك بشىء لم يألفوا العناية بتدوينه مثل تاريخ التجارة ؟

أما بعد أن أغلب محمد على المماليك وخلصت له ولاية مصر فاستقر الأمن واستتب النظام ودبت بمصر روح حياة جديدة . اصبح فى الامكان أن نأخذ فكرة صحيحة عن التجارة وأن نتمشى فى الكلام عنها من خلال مادونه المؤرخون وسجله الباحثون

كانت التجارة فى ذلك الحين فى حدود ضيقة . فالحكومة هى المالكة الأراضى الزراعية التى هى عماد الثروة المصرية . حتى أن واضع اليد لايملك رقبة الأرض بل هو يعمل فيها لحساب الحكومه . فيؤدى للحكومة حاصلاتها عينا وهى التى تتصرف فيها وتعطى له أجره صنفا من الحبوب . فهى المحتكرة للحاصلات تستولى عليها وتحدد أثمانها وتبيع الفائض منها بعد أن تستهلك منه مايلزم لحاجة الجيش والموظفين

ولما أدخل محمد على زراعة القطن بالقطر ولم يكن قد عرف انشـــأ له المحالج وانشأ مصانع للغزل ومصانع للنسيج وكانت الحكومة تستجمعه وتحلجه وتبيع الفائض منه أيضا للخارج فهى التاجرة وهى الصانعة أيضا

أنشا محمد على محلجا للاقطان بابى كبير وكان مكانه فى مكان المسجد الذى أقامه الوجيه التقى الشيخ عبدالله الغرورى . ولما كانت الارض ملكا للحكومة . أعطى محمد على أرض أبى كبير للسيدة حشم أمينه هانم افندى رزقه بلا مال فاصبح (جفلكا) وكان المحلج ضمن هذا الجفلك . ولما انتقلت ملكية الأرض الى لجنة قومسيون الاراضى فى نهاية عهد الخديوى اسماعيل وبيع منها صفقة الى الكونت سليم دى شديد كان المحلج ضمن هذا البيع وقد اشتراه الشيخ على صقر مع العسقلانى فابدلاه بمطحن للغلال ثم لما آلت الارض الى الوجيه التقى الشيخ عبد الله الغرورى أقام عليه مسجده المذكور المعروف باسمه .

نعم كانت التجاره فى حدود ضيقة للاسباب المذكورة أضف الى ذلك كثرة الاراضى البور وقلة عدد السكان وقلة وسائل النقل وعدم ثقة الأوروبين فى أمن البلاد وفى نظمها وقوانينها حتى يمكنهم استثمار أموالهم بالصورة التى حدثت من بعد

فلم تكن هناك تجارة للاقطان بالجيزة يتداولها الشعب بالصورة المعروفة الآن بل كانت قاصرة على المنسوجات المحلية والقليل الذى يرد من البلاد المجاورة كالاقطار العربية من مشرقية ومغربية وتركيا فى الغالب ، وكذلك الماشية كالخيول والجمال والاغنام ومال القبان كالسكر والصابون والبن والزيوت والارز المقشور والاخشاب وغيرها .

وخطت التجارة التى يتداولها الشعب خطوة الى الامام عقب سنة ١٨١٣ م فقد أعطى محمد على الكبير بعض الاطيان الزراعية لأعضاء الاسرة المالكة تلك التى سميت (جفالك) كما أعطى بعض الاراضى البور لبعض الاعيان والوجهاء وكبار الموظفين الموالين له لاستصلاحها واستثمارها تلك التى سميت (اباعد) وهذا عدا ما كان قد بقى تحت أيدي الملتزمين تلك التى سميت (أوسيه) فازدادت حاصلات الاطيان طبقا لما تم فى الاصلاح واشتغل بتداولها جزء من الشعب

أما الذى جعل التجارة تخطو خطوات واسعة فهو ذلك المرسوم الذى أصدره محمد سعيد باشا والى مصر وهو المعروف بمرسوم سنة ١٨٥٨ م فقد أباح المرسوم حق الملكية الفردية للشعب والغى به نظام احتكار الحكومة للحاصلات الزراعية وتحديد أسعارها . وصار فى وسع الجميع من أفراد الشعب أن يتداول تلك الحاصلات بحرية وبلا قيد . ذلك بالنسبة لعموم القطر

أما بالنسبة الى أبى كبير فبعد صدور هذا المرسوم وبعد اجراء الحصر ظهر أن الملكيات الفردية جميعها للاهالى ولغيرهم لا تزيد عن ٦٣٦ فدان منها ٥٩٣ لثلاثة من الضباط هم شاكر باشا وكان ملكه ٤٨٣ فدان وبكباشى أيوب وملكه ٦٨ فدان وابراهيم أغا صاغ قوله اغاسى وملكه ٤٣ وأما ما لدى أهالى البلد الاصليين فهو ٤٢ فدان لاربعة أفراد . كما أن باقى المساحة والزمام وقدره سبعة آلاف فدان (جفلك) ملك الست حشم أمينه هانم افندى . وليس فى وسع الذين يتجرون من الاهالى أن يتداولوا أكثر من الناتج من ٦٣٦ . وكذلك كان الجفلك يتبع المألوف من النظم الحكومية فى بيع ومشترى حاصلاته وحاجياته وليس فى مقدور الاهالى تنفيذ شرائطه

وأمر آخر جعل التجارة تنشط حركتها فقد كان سعيد باشا ابن الجانب كثير التودد للاجانب فاقبل كثير من الأوروبيين الى مصر واستثمر أمواله بها . ومن ذلك حفر قناة السويس . وأغلب الاجانب الذين نزلوا فى مصر اذ ذاك من اليونان والطليان والفرنسيس ، وبعد أن أفتتحت قناة السويس فى عهد الخديوى اسماعيل وتغير طريق مرور السفن الاوروبية من طريق الرجا الصالح الى طريقها . كانت الأموال الأجنبية قد تدفقت على مصر . فازدادت الحركة التجارية . ولما كان الخديوى اسماعيل قد استدان أموالا طائلة من الخارج لتنفيذ مرافق الاصلاح وكانت مالية مصر قد اختلت فلم يستطع الخديوى الوفاء تدخل الاجانب تدخلا فعليا فى مالية البلاد ، وتألفت لجنة دوليه لهذا الغرض سنة ١٨٧٩ م وعزل الخديوى اسماعيل وأصبح نجله توفيق باشا خديويا على مصر وتطلعت بريطانيا الى مصر فاحتلتها سنة ١٨٨٢ م ووضعت امتيازات للاجانب وأنشأت محاكم مختلطة كل هذا جعل الاجانب يزيدون استغلال أموالهم بمصر. يضاف الى ذلك ما كان قد أصلح من الاراضى البور بانشاء عمليات الرى والصرف فزادت المحاصيل تبعا لذلك . كما استحدث من السكك الحديدية والطرق الزراعية بما سهل عمليات النقل البرى والنهرى

وفى أبى كبير تغير الموقف بزيادة الملكيات الفردية فقد تنازلت الست حشم أمينه هانم أفندى عن أراضى أبى كبير التى فى حوزتها وقدرها سبعة آلاف فدان سدادا لدين الخديوى اسماعيل الخاص . ووزعت منها اللجنة المختصه جزءا كبيرا على أصحاب المرتبات والديون المتأخرة لهم والتى اعتبرتها اللجنة قبل الخديوى وهو المسئول عنها شخصيا وكان هؤلاء من كبار الضباط والتجار

وتولت لجنة القومسيون ادارة الباقى حتى سنة ١٨٩٢ م عرضته للبيع فكان من نصيب الكونت سليم شديد وأخيه رزق الله شديد . ولا يزال بعضه الى الآن لورثتهما وكذلك أصبح فى وسع الشعب أن يتداول كل ما ينتج من حاصلات أراضى أبى كبير واتسعت نطاق دائرة التجارة المحلية تبعا لذلك

ويتبين من بيان الملكيات الفردية السابق وبما ظهر من الاوضاع انه لم يكن للاهالى بد

أن يطلبون العيش ويسعون الى الرزق ليقوموا حياتهم ألا أحدى طريقين بعد هذا الحرمان من ملكية أراضى بلدهم .

الأول : أن يعملوا أجراء فى حراثة الارض وزراعتها (تمليه) يسعون ويشقون وغيرهم من الملاك يأخذون الثمرة ويتمتعون بالخيرات والبركات ، وناهيك بما كان يناله العامل فى ذلك الوقت من المهانة والمظالم ومن المعاملة الجافة القاسية حتى لكأنه فى شكل العبيد ، ولم تكن هناك عناية بشئونه وراحته الأمر الذى نفر النفوس والجأهم الى الفرار الى جو الحرية والكرامة

الثانى : أن يعملوا فى محيط غير هذا المحيط ، وهذه التجارة قد أخذت تنمو نمواً واسعا يأتى بالرزق الكثير والعيش الرغيد ويعطى للنفوس عزتها ويسير مع حريتها ويرضى نزعاتها فى الجد والعمل المثمر الذى اذا صحبه التوفيق البس صاحبه ثوب الغنى والثروة والجاه . فتمثلوا أمامهم هذا كله وتمثلوا قول رسول الله ﷺ تسعة أعشار الرزق فى التجارة

فانتشروا فى البلاد كالجراد يبتغون من فضل الله فى نشاط متوافر وجد متواصل واقدام من غير تواكل . ولا أغالى اذا قلت أنهم منذ ذلك الحين قد تحملوا أغلب الاعباء التجارية فى نصف الشرقية الشمالى الشرقى وهو مراكز كفر صقر وفاقوس وههيا . وقامت على أكتافهم حركتها . فهم اليد العاملة التى تجلب المحاصيل والحاجات الى هذه المنطقة وتنقل الفائض من محاصيلها الى غيرها من الجهات الاخرى

ولقد أكسبها موقعها الجغرافى فى وسط الثلاثة مراكز المذكورة بين شبكة الطرق الحديدية والزراعية علاوة على نشاط أهلها وعلى الحالة التى اضطرتهم لحمل هذه الاعباء

ولقد تحققت من نشاط شعب ابى كبير لانى ما نزلت ببلد من بلاد القطر وظننت انى غريب فيه الا التقيت بعد قليل بمواطنين من أبى كبير يعملون مثلى وان كانت لهم مهنة غير مهنتى

وفى الحق ان شعب ابى كبير قد تأثر الى حد كبير بكل الصفات التى يتأثرها التاجر فاذا كان التاجر صبورا وغيورا واذا كان التاجر مغامرا ومقامرا واذا كان التاجر أمينا

واليفا واذا كان التاجر يهدف الى التدين بقدر مايهدف الى الثروة والغنى فان فيهم هذه الصفات واضحة .

أما كيف يهدف التاجر الى التدين ، فقد يصاب بالازمات ويقع عليه ضغط انتكاس الاسواق ونزول الاسواق وبوار السلع . فلا تكون له من وسيلة الا ان يلتجأ الى الله راجيا الفرج طالبا منه العون والمدد وحسن المخرج من الضيق ، وهكذا شعب ابى كبير تراهم فى المساجد عابدين والى استماع العظات الدينيـــة تواقين وتراهم فى الاسواق لاعبين ماكرين

أجل تأصلت هذه الصفات فى نفوس القوم جيلين كاملين قرابة قرن من الزمان وأصبحت التجارة لديهم عادة وغريزة يتناقلهـا الأبناء على الاباء والاجداد ، والطفل ينشأ على ماعوده أبوه

ولقد أفادتهم كثرة أسفارهم وتنقلاتهم وكثرة احتكاكهم بالناس فى معاملاتهم وتداولهم . فالفوا الناس والفتهم ، ففيهم حسن المعاشرة والصحبة . وترى من أثر ذلك أن كثيرا من الموظفين الذى يعملون بابى كبير اذا انتهت مدة خدمتهم استحسنوا الاقامة بها لما وجدوا من أهلها من الكرم والسخاء والوفاء .

وشعب ابى كبير شعب عصامى . فاذا كان لهم الآن من ثروة أو أملاك بعد أن حرموا من ملكية الاراضى . فان هذه الثروات لم يرثوها وانما أحرزوها بجدهم ونشاطهم وكذلك اذا كانوا قد اكتسبوا فى خبرة وسعة افق فى ضروب التجارة . فانهم لم ينالوها بالتعليم فى معاهد للتجارة ولم يتخصص أحدهم باستماع دروس أو محاضرات فيها ، ولكنهـا الفطرة التى جبلت عليهـا غرائزهم وقواها فيهم وضعهم الذى بينته من قبل . فمدرستهم هى الحياة العملية التى تخرج منهـا أمثال فرغلى والشناوى والشمسى والمغازى والوكيل والشامى وعبد العزيز رضوان وغيرهم ممن لهم الآن مكانة ممتازة وممن أحرزوا بعصاميتهم الرتب العظيمة ، وأصبحت لآرائهم قيمة كبرى فى الهيآت الاجتماعية والدوائر المالية والاقتصادية .

أن الظروف والملابسات التى أحاطت بهم وتأثرهم التجارة والافكار التى تسيطر

منها عليهم لم تدعهم يثابرون على تعليم أبنائهم للنهاية لذلك لم نجد من بينهم عالما عبقريا فذا ظاهرا ولا حاكما قديرا معروفا ولا موظفا كبيرا مشهورا قبل اليوم . أما وقد تغيرت الظروف فنمت الثروة واضطرهم العصر الحالى ودوافع الهيئة الاجتماعية الحديثة أن يسلكوا السبيل الى تعليم الكثير من ابنائهم تعليما جامعيا فى مختلف العلوم والفنون أصبح لدينا باكورة منهم تبشر بنجاح هذا الاتجاه وبوجود هذا النوع من المواطنين من كبار العلماء والموظفين والحكام والاطباء والمهندسين والمحامين علاوة على هذه البيئة التجارية

اقدم البيوت التجارية المعروفة

بيت الزرو : تجارة أقمشة ، وهو امين الزرو بن السيد احمد الزرو الذى كان عضوا بالمجلس الاستشارى الذى كونه نابليون أبان الحملة الفرنسية ، وكان كبير تجار الغورية بالقاهرة وقتله الفرنسيس لوطنيته ، ولا يزال منزله قائما بكفر أبى كبير يملكه احمد افندى سالم السيد

بيت القربى : هو رضوان القربى تاجر أقمشة كبير تجار القربية بالقاهرة انشأ له فرع بابى كبير بكفر النجدى واشتغل معه الشيخ محمد السيد عطيه والد محمد بك السيد عطيه وتدرج الى العمل بهذه التجارة بعد

بيت الشمسى : امين الشمسى باشا كبير تجار الشرقية ونقيب الاشراف وشيخ مشايخ الطرق الصوفية بها أول الوطنيين الذين انشأوا المصانع لحليج الاقطان وطحن الغلال وضرب الأرز وعصير الزيوت ووالد على الشمسى بك (باشا) عضو الوفد المصرى ورئيس لجنته بالشرقية ، وكان مكتبه بالمنزل الذى يملكه الآن الشيخ احمد السيد أبو النور بكفر ابى كبير (احمد افندى أبو الطويل الآن)

أما البيوت التى كانت تمارس التجارة من أهالى أبى كبير الاصليين . فهى على الترتيب فى تجارة الأقمشة : بيت الغازى - بيت ابو عمر - بيت أبو خليفه - بيت ابو عافية بيت ابو فوده - بيت ابو عجوه - بيت أبو عطيه - بيت الفيومى - بيت الغرورى - ابو حماد

في تجارة الحبوب : بيت أبو اسماعيل وأبو زايد والطبال واللبيدى - أبو حسنين أبو الحصين - ابو عمار - أبو حماد - أبو عياده - الابزارى - أبو عمرو - أبو شاهين المسيرى - الصيرفى - أبو نار - أبوشعلان - أبو حجازى - الصادى - الجعبيرى - الناغى أبو واكد - أبو عيد - أبو موسى - أبو عوض - جابر وبدران - احمد حسن - أبو خابور - احمد حسنين - العسال - الحديدى - أبو لعبوطه - واغلب هذه البيوت كانت تشتغل بالقطن فى أبان موسمه علاوة على الحبوب

في تجارة الاخشاب : على بك سالم والنملى وابراهيم افندى على - أبو عطيه - أبو بدوى - أبو خلف - أبو النور

في تجارة البقالة والعطارة : أبو نصر - أبو منصور - مصيلحى على وأبو السعود - المتيم - أبو كاشف نمنم كلوب - الشرقاوى - أبوجبر - نعمان ومحمود ابراهيم - أبو خضر أبو رمضان - أبو شحاته . أبو سنه

في تجارة الأقمشة والخردوات من الطبقة الثانية : أبو سليمان - البحطيطى - متشو - حسن محمود - المتيم - أبو أيوب - أبو السعود - الدخاخنى

في تجارة المصوغات : أبو سليم الصايغ - أبو نجم - أبو غريب - أبو عبدون - أبو عبد السميع - أبو سلامه - أبو زناتى

في تجارة الماشية والجلود واللحوم : أبو بربر - أبو عبد الهادى - أبو على - أبو مقلد

بيوت الصناعة : ريحان - شومان - حيده - أبو عدايل - أبو يعقوب - أبو عزازى هصيه العزونى - عابدين - جنيدى - الحرايرى - أبو جعفر - البنا - الابزارى المتيم العزونى - أبو خلف

تجارة القطن

أما تجارة القطن فقد كانت فى أول أمرها بيد الاجانب ولم يكن يمارسها أحد من الاهالى الوطنيين ، وكانت أقدم البيوت التجارية الأجنبية بابى كبير بيت كوستيه حاجى

جونى - بريكلى تمبا كباو - طناشى - بولمبرى - بروبا . وغيرهم وكانت لهم ثروات كبيرة وأموال نالوها لعدة عوامل - منها سذاجة الاهالى الفلاحين ، وعدم معرفتهم حقيقة الاسعار لأن هؤلاء الاجانب كانوا يخفوها حتى ليكاد السعر يكون واحدا فى أول الموسم الى آخره ، وكانوا يقسمون البلاد مناطقا فيما بينهم لكل منهم منطقة يتحكم فيها ولا يزاحمه أحد وغير هذا فقد كانت أغلب هذه الثروة تأتى لهم بطرقهم الاحتيالية التى منها التلاعب فى الموازين ، والربا الفاحش ، والمغالطة فى الحساب ، وساعدهم على ذلك جهل الاهالى بالدفاع عن انفسهم امام المحاكم المختلطة مما جعل الأجانب ينزعون كثيرا من أملاك الفلاحين ويملكونها ، وقد فقه اولى الأمر لهذه الأساليب فعمدوا الى انشاء حلقات للقطن بعواصم المديريات أولا ، وكانت اقرب الحلقات لابى كبير حلقتا الزقازيق والمنصوره . فبدأ الوطنيون يمارسون الاتجار فى القطن من فضلات الاجانب كالسكارتو والساقطة ويبيعونها بهذين الحلقتين منذ سنة ١٩٠٨م وبدأوا أيضا يعرفون الأنظمة المتبعة فى تجارة القطن

ثم عممت الحكومة حلقات الاقطان بالمراكز فانشأ مجلس مديرية الشرقية - حلقة أقطان بابى كبير سنة ١٩١٢ م وصارت الاسعار تعلن صباحا ومساء . وصار وزانون رسميون يؤدون مهمة الوزن . مما وفر وسهل على الفلاحين كثيرا من المتاعب التى لقوها من الأجانب ، ولما نشبت الحرب الكبرى العالمية الأولى سنة ١٩١٤ م كسدت سوق القطن ونزلت نزولا كبيرا حتى اضطرت الحكومة للتدخل فى السوق مشترية ، وفى ذلك الوقت كان كثير من التجار الوطنيون يعملون بتجارة القطن وبدأوا يجارون الاجانب فى حلجه وبيعه بالاسكندرية وكانت الاسعار بعد تدخل الحكومة قد انتعشت عن ذى قبل فربح التجار ارباحا لا يستهان بها ولما جاءت الهدنة سنة ١٩١٨ م وكانت الحرب قد استنفدت جميع المخزون من القطن وبدأت الملاحة بالبحار تسير سيرتها الاولى لما كانت قبل الحرب راجت تجارة القطن رواجا عظيما وتحسنت الاسعار حتى بلغت عشرة أمثال السعر خلال مدة الحرب تقريبا . فتضخمت ثروة المشتغلين بتجارة القطن بأبى كبير حتى لقد قدرت ثروة الجعبيرى باكثر من نصف مليون من الجنيهات واقتنى

الأطيان والعقار وامتلك أكبر محاج بالزقازيق ولا أبالغ اذا قلت ان قيمة ما احرزه تجار أبى كبير من الثروة اذ ذاك لا يقل عن مليون من الجنيهات

والذى يؤسف له أشد الاسف ان هذه الثروة لم تدم بعد أكثر من عام فما وافت سنة ١٩٢٠ م حتى تداعت بل تلاشت عن آخرها بسبب جهل التجار بحركات البورصة وعدم الحيطة بتغطية مراكزهم وتمشيهم على الطارق العتيقة التى اعتادوا عليها من قبل ولم تستفد البلد من هذه الثروات لا كثيرا ولا قليلا من الوجهة الاجتماعية

اما عن التجار الاجانب فبعد أن أكتشف النـــاس أساليبهم . ونافسهم التجار الوطنيون لم يستطيعوا الصمود أمام تيار المنافسة علاوة على انصراف الناس عن التعامل معهم وضاعت مراكزهم أيضا بل ضاعت جميع ثرواتهم عدا القليلين منهم الذين هربوا من التجارة واقتصروا على الزراعة وما احرزوه من الاطيان ، وقطع دابر الذين ظلموا من قبل

تقدير المركز المالى والتجارى

واذا أردنا أن نقدر كمية النقد الذى تداولها تجار أبى كبير منذ سنة ١٩١٨ الى سنة ١٩٢٨ لقلنا أنها لا تقل سنويا عن اثنين مليون من الجنيهات فى مختلف المهن والسلع من أقطان وحبوب وارز واقمشة وبضايع أخرى صادرة وواردة

فاذا أحصينا كمية القطن فقد لا تقل عن ١٥٠ ألف من القناطير سنويا وذلك ما صدر بالسكة الحديد الحكومة وشركة الدلتا وكمية الحبوب الصادرة والواردة قد لا تقل عن هذا الرقم سنويا أيضا عدا الأصناف الأخرى المتداولة ، وهى مبالغ تستحق التقدير

ختام التقرير

وفى ختام هذا التقرير ترجو الغرفة التجارية وقد كشفت عن هذه الجوانب المجهولة عن ابى كبير تساعدها لدى الجهات الحكومة على أجابة رغباتها فى انشاء مركز بوليس بها وانشاء محكمة اهلية واخرى شرعية .

رد قسم الغرف التجارية

وقد كان رد قسم الغرف التجارية بعد شكر الغرفة على تقريرها أنها كتبت للجهات المختصة تلح عليها فى اجابة طلبات ابى كبير وارفقت صور ما كتبته فى هذا الصدد

الجديد بعد التقرير من سنة ١٩٢٨ الى سنة ١٩٤٨

أما الجديد بعد التقرير السالف الذكر فهو مزاحمة فاقوس لمركز ابى كبير التجارى بوفرة محاصيلها خصوصا بعد استصلاح الكثير من أراضيهـــا البور واتساع رقعة أراضيها الزراعية واستحداث كثير من طرق الرى والصرف وامتيازها عن ابى كبير بالملاحة النهرية التى تصلها بكثير من مدن القطر البحرية والداخلية . ومع أنه قد نشأ بابى كبير محلجا للاقطان ومضارب للارز ومصنع للثلج ومطابع وغيرهـا من الورش الصناعية الا أن نشأة فروع لبعض البنوك واتخاذها شونا لتخزين الحاصلات بفاقوس جعلها تفوق ابا كبير فى حركتها التجارية خصوصا وقد أصبح من بين أهلها ومن الأرياف المجاورة لها من يعمل بالتجارة وكذلك بعض النازحين اليها من البلاد الأخرى حتى لحسبت أنها بعد قليل ستزاحم (الزقازيق) عاصمة الشرقية فى حركتها وفى تجارتها وقد بدأ هذا التفوق يتحقق فى تجارة الأرز وصناعته . وبهذا كله وبما حدث من وسائل التقدم والعمران وبما هو مأمول من استمرارهما قد لا يمكن لابى كبير أن تحتفظ بمكانتها التجارية التى امتازت به منذ قرن تقريبا الا بانشاء صناعات جديده بها

الجمعيات بابى كبير

حدثت محاولات عدة بتكوين الجمعيات بابى كبير على غرار الجمعيات القائمة فى البلاد الأخرى ولكن لم يثبت منها قائما على قيد الحياة سوى جمعيتين تكونتا أخيرا وأرجو أن يكتب لهما البقاء وهما جمعية الاخوان المسلمين وجمعية المحافظة على القرآن الكريم ولقد فشل نظام التعاون بابى كبير فشلا ذريعا . فتكونت سنة ١٩١٢ م جمعية تعاون منزلية وفى سنة ١٩٣٢ م تكونت جمعيتان للتعاون الزراعى أحداهما بابى كبير والثانية

بكفر ابى كبير وفى سنة ١٩٤٤ م تكونت أيضا جمعية تعاون منزلية كونها الاخوان المسلمون ثم تجددت سنة ١٩٤٥ بصورة أوسع ولكنها جميعا فشلت ولعل السر فى ذلك هو الخلق التجارى الذى لا يعرف من التعاون إلا الربح والذى لا يستسيغ فرض الاسعار وتحديدها ومحاولته المشترى باسعار أقل ، أما عن الجمعيات الخيرية فقد تكونت اخوان الصفا سنة ١٩١٠ م وقامت بنصيب تحمد عليه باحياء المواسم الاسلامية ثم تحملت عبء المدرسة الابتدائية عقب الضعف المالى الذى أصاب على بك شـــاكر وما وافت سنة ١٩١٤ م حتى انحلت اضعف مواردها أيضا

أما عن الجمعيات الادبية والثقافية : فقد تكونت جمعية الآداب الاسلامية سنة ١٩١٢ م من طلبة المدرسة الابتدائية تحت رئاسة السيد محمود صادق المدرس وكانت مهمتها حث الطلبة على الجد والعمل وتعويد النشىء على التحلى بالفضائل الدينيه ولما انقل رئيسها المدرسة الى أخرى سنة ١٩١٦ وتخرج أكثر الطلبة الذين تكونت منهم الجمعية تلاشت

وفى سنة ١٩٣٠ م تكونت جمعية مكارم الاخلاق الاسلامية فحاربها رجال الادارة بدعوى أن لها سياسة تخالف سياسة الحكومة التى كانت قائمة فانتهى أمرها

وفى سنة ١٩٣٨ تكونت جمعية الطرق الصوفية ومهمتها الحث على التمسك بالدين والمثابرة على العبادة فلم تصادف هوى فى نفوس الشباب الذى انصرف عنها وانضم الى جمعية الاخوان المسلمين لما لها من التعاليم الخلابة والدعوة الجذابة التى تتفق ونزوة الجيل المتدين الحديث فكونوا لهم شعبة سنة ١٩٣٩ تابعة للمركز العام بالقاهرة ، وأخذت هذه الشعبة تمارس الاعمال طبقا لتعاليم فضيلة المرشـــد العام فاتخذوا دارا تلقى فيها المحاضرات الدينية وانشأوا روضة للاطفال ومدرسة ابتدائية وناديا للرياضة وفرقة للجوالة ، ولا يسع منصف الا ان يحمد للجمعية كل عمل من شأنه أن يقوى الشعور الدينى وان ينشر الفضائل والثقافة الاسلامية فان كل مخلص لدينه يرجو أن يرى علم الاسلام خفاقا فوق البلاد والسلام والمحبة شائعان بين العباد ، وأن تكون تعاليم القرآن هى الدستور والقانون . الا أن تطور دعوة الاخوان الى الدخول فى ميدان السياسة والاندفاع فى تياراتها بصور عنيفة جعل الناس ينظرون اليها كما ينظرون الى الاحزاب

السياسية سواء بسواء لتشابهها فى الاساليب والوسائل ، ومن الحق ان أقول أن الدعوة سليمة وصحيحة من الوجهة النظرية . الا أن الطريقة العمليه التى يسير عليهـا بعض الاخوان توجب الشك فى وصولهم الى الاهداف التى رسمتها الدعوة ، وأرجو الله أن يوفق الجميع الى مافيه صلاح الدين والدنيا

جمعية المحافظة على القرآن الكريم

ولقد تكونت جمعية المحافظة على القرآن الكريم بابى كبير بدعوة اصحاب الفضيلة الوعاظ وعلى رأسهم الاستاذ الشيخ الحسينى المسلمى مفتش الوعظ والارشاد بالشرقية والقنال . وقابل هذه الدعوة جمهور كبير من الوجهاء والاعيان ، وهى بعيدة كل البعد عن صلتها بالاحزاب السياسية ، ولاهم لها الا نشر محاسن القرآن الكريم والثقافة الاسلامية وتعميم تحفيظ القرآن لأكبر عدد ممكن من النشىء والعمل بأحكامه

وكان من أكبر الداعين والمحبذين لتكوين الجمعية أحد أبناء أبى كبير الأمناء البررة الاستاذ ابراهيم سعيد المحامى الكبير بالزقازيق . ولقد تم تأسيس الجمعية وصودق عليها من وزارة الشئون الاجتماعية ، وقد بدأت تمارس أعمالها فانشأت كتابا لتحفيظ القرآن الكريم وأحيت ليالى شهر رمضان الكريم بتلاوة الذكر الحكيم والقاء المحاضرات الدينية من حضرات الوعاظ ، ولا تزال تسير بخطى وئيدة نحو الهدف حيث لا تزال فى حاجة الى التدعيم والتنشيط والمعاونة الفعلية حتى تستطيع أن تؤدى وظيفتها كما يجب لتكون فى مصاف الجمعيات الاخرى التى سارت بخطى واسعة وانتجت نتائج تغبط عليها

أما أعضاء مجلس ادارة الجمعيه فهم فضيلة الأستاذ المسلمى رئيس امين افندى الشحات والشيخ عبد الحميد ابراهيم وكيلان على افندى عمار سكرتير أول والحاج احمد عطيه سكرتير ثانى متولى افندى ابراهيم امين صندوق الحاج محمدى عجوه والشيخ نبيه الغرباوى الواعظ مراقبان والاستاذ محمد افندى الالفى واحمد افندى عبد الودود ومحمد افندى زايد وعلى افندى عبد الحميد ومحمد افندى موسى الشرقاوى والشيخ ابراهيم واكد وعبد الحسيب افندى بدوى ومحمد افندى ابو النجا والشيخ عبد الحليم عبد الغنى أعضاء

والجمعية ليست خاصة بهيئة دون هيئة وليس لها أي لون حزبي ، ولا هم لها الا أن تحقق قول الله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) وأداة الحفظ ووسائله هم المخلصون الذين يعملون بروح من عند الله على اظهار فضائل القرآن ونشر تعاليمه السامية . كنت بالعام الماضي والجمعية في دور التأسيس . أكتب الجزء الأول من كتاب أبي كبير . وكنت قد رجحت أن تكون تسمية أبي كبير آتيه الينا من طريق ابي كبير الهذلي ذلك الشاعر الزعيم في بني سعد بن هذيل ووضحت وجوه الشبه في ذلك الجزء . وأتيت بطرف من قصيدة ابي كبير الحماسية التي سارت في عالم الأدب في شهرة فائقة والتي منها :

(أزهير) هل عن شيبة في معدل ... أم لاسبيل الى الشباب الأول

أم لاسبيل الى الشباب وذكره ... اشهى الى من الرحيق السلسل

وفي هذه الاثناء طولبت أن القي كلمة في جمعية المحافظة على القرآن الكريم فعارضت القصيدة وجعلت منها كلمتي القيتها بدار الجمعية بالزقازيق في رمضان سنة ١٣٦٦ م ثم بدار الجمعية بابي كبير أيضاً : قلت

قالت (زهير) مقال ثبت عامل ... يزن الامور بحكمة المتوسل

دع عنك ليلى والرباب وعزة ... ودع المجنون وذكر دارة جلجل

ودع العذارى والندامى واستفق ... واقصد رعاك الله دار المحفل

دار تعج باهلها ورجالها ... من معشر النفر الأبي الأفضل

ما أن دخلت الدار ألا خلتها ... روض الجنان وبهجة المتفائل

صفت مقاعدها لملتمس الهدى ... نبع العلوم بحقها المتكافل

لم ادر أي جواهر ومجاهر ... ومشاعل الى الكتاب المنزل

نور على نور تلاحق موجه ... يهدى به الرحمن كل مكمل

كل القلوب مشوقة ورفيقة ... ومضاءة بشعاع نور المرسل

الروح رفرف فوقها وملائك ... والفيض عم ورحمة الرب العلى

* * *

ان السعادة والفضائل والعلا ... في ساحة القرآن أكرم موئل

فاذا اتجهنا صوب عزة مجده ... لا نزاح عنا كل ضغط حاصل

واذا ملكنا نهجه وسبيله سيعود عهد للزمان الأول

* * *

أخبارنا آثارنا تاريخنـــا عجب فلم يكذب ولم يتحول
فكتابنا دستورنا يسمو بنا فى كل جيل صالح لتداول
هو للزمان على اختلاف عصوره أهدى دليل بل واغزر منهل

* * *

رفع الرعاة الى السيادة معلنا حق الجميع لكل قدر أفضل
فالناس كلهم سواء عنده والفضل للتقوى وعلم العامل
قلب البداوة بالحضارة وانثنى يحمى الضعيف فى القوى العاهل
جمع الشتات برغم كل تنافر فى وحدة ميمونة وتكتل
وتفتقت فحل الصحارى أنهرا تروى العقول من الزلال السلسل
قد أخصبت بل أثمرت منها الربى روحا وريحانا بزهر أمثل

* * *

واختط للانسان اكمل غاية فعقيدة التوحيد أرفع منزل
فله من التفكير أروع منطق والى العلوم صداقة لم تنجل

* * *

لم تأت للانسان أى فضيلة من فكرة أو مبدىء متبلبل
الا وفى القرآن منبت أصلها أهدى وأرفع ان ترام بمحمل

* * *

ان نذكر الماضى وجدنا أننا فى غمرة فى حسرة فى الارزل
مانحن أحفاد الذين توسدوا ارض الحجاز وآمنوا بالمرسل
من جاهدوا فى الله صفا واحداً فرحين بين مكبر ومهلل
واستشهدوا حبا لاعلاء الهدى طوعا بغير هوادة وتواكل
خطت دماهم للبطولة آية فى روعة التاريخ طول مراحل
وتهافتوا فى قلة فوق الظبا والله أيدهم بجند منزل
فتحوا البلاد واخضعوا كل الورى للحق لا للحكم شأن الحاصل

* * *

والآن قد صرنا عبيدا نشترى   أسرى بوادينا العزيز المنزل
وقلوبنا غلف وصحة ديننا   شك وما ليقيننا من منزل
نحن الذين تخلفوا بل ضيعوا   هذا التراث تهالكا للعاجل
اذ ترتجى للمجد صرحا شامخا   فالمجد لا يأتى رخيصا من على
ان التضامن للسعادة آية   فتن الخلاف تهدهد المعول
عبثا نضيع وقتنا بمباحث   لاهين بين تهالك وتبلبل
اين الرجال العاملون بدينهم   الباذلون النفس عند الكلكل

* * *

الدين أوجب أن تعيش مكرما   لتكون فى صف الرعيل الأول
حسب الفتى بالموت موعظة فما   من نجوة لدعى غاوى جاهل
لا خير فى العيش الرخيص لأنه   يضع المهانة فى رقاب العزل

* * *

حسب النفوس خلاصها فى غيها   بإثارة فى حكمة وتعقل
لو انها نفضت غبار سباتها   فى لفتة أو يقظة وتأمل
لو أنها فكت قيود عقالها   وسرت على ضوء الشعاع الهاطل
جاءت مشرقة لمنبع نورها   ومعينها الاسمى المجيد الحافل
وتذوقت معنى الكتاب وحكمه   سر الحياة لمجدها المتأصل
بلغت سنام العز فى الدنيا كما   وصلت الى الاخرى لاكرم موئل

* * *

هيا أخو الايمان ان نفوسنا   سئمت حياة الذل هيا فانزل
والى الجهاد الى النضال الى الفدا   ياخيرة الجيل الجديد المقبل
هذا كتاب الله ينطق بالهدى   ان رمت حظا بالخلود الآجل
قد اثبتت كل البحوث بأنه   اسمى دليل للسلام الشامل

المشهور بابى كبير من العلماء والفقهاء ومشايخ الطرق

اما المشهور من علماء ابى كبير وفقهائها فمنهم الشيخ محمد المسيرى فقد كان واسع العلم قوى البصيرة ورثه فى علمه الشيخ عباس المسيرى الذى كان لين الجانب سلس العبارة

غير متزمت فى تدينه وعلمه يعمل على التيسير ويهدف الى الرجاء . ومنهم الشيخ محمد السيد عطيه وكان متفقها جليلا ومنهم الشيخ ابراهيم واكد الذى كان قاضيا لمحكمة ابى كبير الشرعية قيل انه كان متشددا فى الاحكام متمسكا بظاهر الشريعة ومنهم أخوه الشيخ عبد الودود واكد وكان متسننا عاملا ومنهم الشيخ جاد الحق محمد والشيخ احمد الحوت وقد كانا على علم وتقوى ومنهم الشيخ محمد الصادى وقد كان شيخا وقورا هادئا رزينا ومنهم الشيخ محمد جاد الحق وقد كان مثابرا على تلاوة القرآن . أما المشهور من مشايخ الطرق الصوفية فمنهم الشيخ مجاهد عصفور ويشهد الناس له بالولاية والكرامة وهداية الناس ومن أكبر تلاميذه الشيخ غريب محمد والشيخ سالم كاوب والشيخ البحراوى ومنهم الشيخ على السباعى وقد اشتهر بالبركة وتربية المريدين ومحبة الكثيرين له . ومنهم الشيخ حسن القدرى وقد كان شيخا مهيبا محافظا على تقاليد الصوفية محترما فى بيئته . ومنهم الشيخ ابوطالب الرفاعى وقد كان نقيب المشايخ يداوم على الذكر ومجالسه واحياء المواسم الدينية . ومنهم الشيخ محمد ادريس وقد كان على ذكاء نادر ومعرفة بعلوم التصوف الدقيقة كثير المدارسة حسن المجالسة

كلمة الختـــام

أما كلمة الختام فمعذرة اذا كنت قد قصرت فى أمر من الأمور وأرجو ألا يظن أحد أنى عرفته وأنكرته أو بخست موضوعا وتعمدت أن أغير من حقيقته . ولازلت أرجو كل من لديه معلومات صحيحة ان يذكرنى بها وليس على نفسى غضاضة اذا وجدت رأيا أو حجة تنقض نتيجة حتى أن اعترف بخطىء وأن اثبت الصحيح ، ولا يسعنى قبل نهاية هذه الكلمة الا أن اشكر حضرات الوجهاء الحاج محمد حسين الغرورى واخيه السيد افندى الغرورى والحاج محمود حسن محمود والحاج ديدامونى بربر على تعمير وانشاء المساجد فلهم من الله الجزاء الأوفى . والا ان اذكر القادرين على مجاراة اهل البر والخير فان ابا كبير فى حاجة الى مستشفى لعلاج الفقراء والمعسرين . وفقنا الله الى الخير والسداد ؟

الفهرست